المقتطف

رئيس التحرير : اسبيرو جبري

October 1951 (الجزء ٣ — المجلد ١١٩) اكتوبر سنة ١٩٥١

حديث المقتطف

نقف بهذا العدد من المقتطف على القمة الفاصلة بين منحدرات الصيف وسفوح الخريف ، مستقبلين موسم العمل ، مودّعين من الصيف حرارته القاسية وعرقه الثقيل ، وخموله المتثائب ، مستأنفين عهد النشاط المكافح ، والجهد الموفق ، مجددين القوى والعهود ، مواصلين الجهاد فيما أخذنا به أنفسنا من مثل ، وما ترسمناه من أهداف .

وقبل أن نفتح رئتينا لنعبّ من أنسام المستقبل ، نلتفت لفتة سريعة ، نستودع بها أيام الصيف ، وما ذاب في حرها من آمال وآلام ، ونذكر بالخير لياليه الزهراء ، وما ترعرع في أنسامها من ذكريات وأحلام ، ونجدد معها التهنئة الصادقة لقرائنا في العالم الاسلامي بعيد الأضحى الكريم ، مزجين إليهم تهنئة جديدة في عيد الهجرة الميمون ، راجين أن نستقبل أعيادنا في مستأنف الأيام ، فرحين بالعزة والكرامة والحرية ، مبتهجين بالرغد والنعيم والرفاهية .

وأول ما يحلو في أعيننا من مظاهر النشاط ، وأول ما يعذب فيه الحديث ويطيب — هذا النحل الآدمي ، رائحاً غادياً — في دأب محبب — إلى الخلايا الثقافية التي يرتادها ، فيملؤها ضجيجاً وحركة ، ويبعث فيها الحياة قوية متوثبة .. كالنحل طنيناً عذباً ، وكالنحل بكوراً إلى الجني ، وكالنحل طلباً لألوان الحياة الزاهية المعطرة ، وارتواء برحيقها العذب الزلال .

.. وأمنية الوطن الكبرى أن يكون هذا النشأ كالنحل ، تقديراً للتبعات ، واندماجاً

في العمل ، وادخاراً للمستقبل ، وشفاء لأدواء الأمة ، وبعداً عن مزالق الحياة ، وترفعاً بالكرامة الانسانية والعزة الوطنية ، أن يستغلها مستغل ، أو يمتطيها ذو مأرب ، أو يعبث بها مستهتر ، أو يُـزَج بها في حزبية بغيضة عمياء ، أو فرقة طائفية مستهجنة ، تدنس منها معقل الوطنية ، وموطن الخير ، ومجتلى نورانية الشباب والجمال والخلق الكريم .

وكنا نرجو أن نشارك في تقديم الرحيق لهذه الخلايا ، كما شاركنا منذ فجر النهضة .

لولا عقبات الروتين الحكومي ، وتمشي الأغراض الخاصة بين جنباته ، وتسلط المغرضين على مصائر الثقافة واستئثارهم بها .

. . ولولا ضغط الظروف ، وتفاقم الغلاء ، وتأزم مشكلة الورق المحتدمة .

وما كنا نود أن نعود الى ذكر الأغداق والحرمان، لولا بقية من أمل في وزيرنا العالم الحكيم ، وبقية من ثقة في حدبه على الثقافة وحياطته لها ، وبقية من رجاء في إيمانه بدعم المكتبة قبل تشييد المدرسة .

ومن الانصاف أن يذكر المقتطف بالخير عهد الوزير الجليل نجيب الهلالي باشا ، الذي قدر لنا ما نبذله من دمائنا لأرواء نبت الثقافة ، وعرف كيف يغترف من هذا المعين ، فأصاب من ذلك ما أردنا وما أراد .

فعلى الرغم من أنه كان يشيّد للتعليم دولة في قوم قيام ، وفي حدود ميزانية لم تتجاوز ستة ملايين من الجنيهات ، فقد بلغت اشتراكات الوزارة في المقتطف ألفاً ومائتي اشتراك ، مما شجعنا على مواصلة الجهود ومضاعفتها في سبيل نشر نور الثقافة وألوية العرفان ، وأضفى علينا الثقة والاطمئنان الى جدوى عملنا ، ووفر لنا كثيراً من المقوّمات المادية التي تسرع بنا إلى الهدف المنشود ، وساعدنا على اجتياز كثير من العقبات التي تعترض طريق الفكر والمعرفة ، فتملؤه بالأشواك والعقابيل .

وظللنا في كفاح العواصف ونضال الأعاصير التي تلفح الثقافة الحرة من كل جانب ، وتترصدها في كل سبيل ، حتى طلع علينا فجر يوم جديد ، بعث فينا أملاً جديداً . . أملاً في معالي الدكتور طه حسين باشا الصحفي الأديب ، وأملاً في أن يكون عهده عهد تقدير للجهود المضنية التي يبذلها رجال الفكر وهو على رأسهم ، وأملاً في أن يقدر ما تشقى به الصحافة الأدبية في مصر والعالم العربي وهو أعرف الناس بشقوتها.

لكننا نخشى أن نقارن بين هذين العهدين فنخرج من المقارنة بما لا يرضى معالي الوزير الأديب ، ولا يرضى الغيورين على الثقافة الحرة التي يضطلع بها المقتطف . . .

. فعلى الرغم من تضاعف عدد المدارس وتكاثرها هـذه الكثرة الهائلة التي قفزت بها الى ما يربي على ثمانية آلاف مدرسة — عدا الجامعات والمؤسسات الثقافية الأخرى .

.. وعلى الرغم من تضخم ميزانية وزارة المعـارف تبعاً لذلك ، حتى أصبحت تدور حول ثلاثين مليوناً من الجنيهات .

.. وعلى الرغم من الحاجة الملحة إلى المكتبات ، وتزويدها بأحدث ما يجد في عالم الفكر الانساني .

على الرغم من كل هذا ظلت اشتراكات وزارة المعارف في المقتطف تتناقص وتتضاءل وتنكمش ، حتى بلغ عددها أربعمائة اشتراك ! !

فاذا خفضت الى هذا الحد اشتراكات وزارة المعـارف ، وهي كبرى الهيئات الرسمية في بلاد الشرق العربي

.. وإذا زادت تكاليف الورق ومواد الطباعة عشرات الأضعاف عما كانت عليه في أشد أزمات الحرب الماضية .

.. وإذا خذلتنا الوزارة ولم تمد إلينا يدها لتبارك هذه الجهود التي نكابدها ، والتي تعينها في مهمتها الشاقة .

.. فكيف نستطيع التغلب على مشاكل الصحافة الأدبية التي تتجدد وتتعقد كل يوم ؟

وكيف نقوى على مواصلة الكفاح المستمر في هذا السبيل ؟

لسنا نشكو ولا نستجدى ، ولكن من حقنا أن نعرض على الرأي العام مشكلتنا ، وهي مشكلة كل صحيفة أدبية فكرية في مصر ، تعاني ما نعاني من إهمال الهيئات الثقافية الرسمية لعامل من العوامل الخطيرة في سبيل انبعاث الثقافة العصرية وتأكيدها واستمرارها ، على حين تُبذل المعاونات في سبل أخرى لا تجدى الثقافة ان لم تعوقها .

ونحن منذ أمد بعيد نواصل الكفاح في دعم الثقافة العربيـة وحياطة كيانها ورفع لوائها ، وتغذية نهضتها المباركة ، وسنظل ماضين في طريقنا لا يلوينا شيء عن القصد ولا يعوقنا معوق عن الهدف . وحسبنا أن تثمر جهودنا المتواضعة خيراً لشباب الوادي ، وبراً بأبناء الوطن ، ونهضة للجيل الجديد . ففي البريق الجديد المشع من عيونهم ، وفي الوعي النـاضج المتردد بين جوانحهم ، ما يعزينا عن متاعب الـكفاح ومشاق الطريق .

* *

المحرض النفسي (١)

للاستاذ شكري شعشاعة باشا

ليست الحياة المثالية السعيدة فيما يملك الانسان ، وانما هي فيما يشعر . ولا هي كذلك فيما يعرف من أسرار المادة أو أسرار الكون ، وانما هي فيما يعرف من أسرار نفسه ، وانتم تعلمون بأنه استطاع أن يبلغ من المعرفة الجديدة بأسرار المادة ما يكاد يرفعه الى القمة من العلم ، ولكنه لم يستطع حتى الآن أن يبلغ من المعرفة بنفسه ما يزحزحه شيئاً عن شرته الحيوانية ، ذلك لأنه ما زال يجدها في سريرته فيطغى ، ويجدها في أعصابه فيضطرب ، وفي رأسه فتخالجه الوساوس والشكوك ، بل لقد بلغ به طوره اليوم أن وجد لها من العلم أداة تزرع الموت في فضاء الله .

لذلك كان الحديث عن خوافي النفس البشرية من خير ما يؤدي للجيل في هذا العهد الحائر ، لعلنا نزداد معرفة بأنفسنا فنعالج مشاكلنا باليسر والرفق ، أو لعلنا نكسب قوة عليها فلا نتركها تفسد علينا جمال الحياة .

وسبيل هذا الحديث أن اتكلم عن المحرض النفسي ، وأعني به خافية الهواجس هذه التي يردها الدين الى النفس اللوامة ، أو إلى الشيطان ، ويردها علم النفس الى ما نسميه اليوم بالعقل الباطن .

تلم الهواجس بالانسان فتوسوس له بما لا يستطيع أن يظهر عليه أحداً ، وهو لو فعل لاستحيا في الغالب من نفسه ، أو لأحدث لنفسه ألواناً من الخصومات ، أو لاتهمه الناس

---

(١) محاضرة ألقيت في المنتدى العربي بعمان .

في عقله أو في دينه أو في تهذيبه، ذلك لأنها تأمر بالسوء والفحشاء أكثر ما تأمر، وتجري وراء الهوى أكثر ما تجري، وتبتغي متع الحياة أكثر ما تبتغي، وتسوق الى الأثرة أكثر ما تسوق، وتتجه الى التعالي أكثر ما تتجه، وقلما تنصف الآخرين أو تشمر مع الآخرين، وإذا تأولت حادثاً صبغته بالمكروه أو الحث عليه بالسوء.

ثم هي في وساوسنا تلك قد لا تهتم بصحتك أو تبالي ضميرك شيئاً، وأحسبنا نقع على كثير من الأمثلة ونحن نشهد هوس الذين يستسلمون لوحي أنفسهم فيجرمون أو يقامرون أو يتعاطون الوان المسكرات أو المخدرات والمكيفات، أو يجرون وراء الشهوات وهم يعلمون بما وراء ذلك من الأذى يصيب العافية ويصيب السمعة كما يأتي على المال.

◆

حدثتني امرأة من الريف قالت: رأيت في صباي قطًا لنا يثب على شريحة من اللحم وأمي تزجره عنها زجراً عنيفاً لم يؤثر فيه، فقام في نفسي أن أصنع شيئاً يؤذيه، واغتنمت غفلة من أهلي، فأمسكت بالقط وصببت عليه من هذا السائل الذي في المصباح ثم أشعلته بعود من الثقاب، فاذا اللهب يأخذ فيه وإذا هو يهرع الى «حاكورة» كنا نخرج اليها من البيت، واتفق أن كان زرعها قد استوى، فاتصل به اللهب وما أمكن اطفاؤه حتى كانت النار قد أتت عليه.

وتحدث اليّ رجل، قال: «أشرفت يوماً على مهوى سحيق الى البحر، فراعني من نفسي صوت هاجس يريدني أن أطير من مكاني ذاك الى المهوى، وأسرعت فابتعدت عن موقفي وقتئذ، وما زلت حتى الآن أعجب من أمر ذلك الهاجس».

وهي تثير الشكوك والظنون والمخاوف، تثيرها عقلية وتثيرها دينية أو خلقية، ولا تقف عند حد يرعوى.

لما نزلت على النبي عليه الصلاة والسلام هذه الآية: «وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله» اشتد ذلك على أصحابه، فأتوه ثم جثوا على الركب فقالوا: «يا رسول الله! كلفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة والصيام والجهاد والصدقة. وقد أنزل الله عليك هذه الآية ولا نطيقها» وأذكر اني قرأت لأحد المفسرين انه كان من أثر هذا الرجوع من الصحابة إليه عليه السلام أن أنزل الله من بعد على نبيه هذه الآية: «لا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت».

والهواجس عنيدة ملحفة رواغة لا يعييها حين تصدها عنك أن تأتيك من نافذة

أخرى أو بلون آخر من ألوان الاغراء ، أو ان تنتظر منك ساعة غفلة أو ساعة تعب أو يأس أو ضعف فتعاودك بوساوسها . وانظر الى نفسك اذ يلمّ بك الأرق ، فما أنت اذن إلاّ شغلها الشاغل ، تحدثك حديثها فتوقظ من أعصابك ما توقظ ، وتثير منك ما تثير ، وكم حاول الانسان أن يهرب من نفسه فما استطاع .

سمعت عن شيخ من البدو انه قال : «اشتريت بندقية لم تك قد استعملت من قبل فرأيت أن اختبر فعلها ، ونظرت فاذا رجل يسير على بعد كنت احب لمرمى البندقية أن يبلغه فوقع في نفسي أن أطلق عليه النار ولكنني قاومت فتشاغلت ، ثم لم ألبث أن وجدتني انظر الى الرجل ثانية ، فاذا هو يكاد يغيب عن نظري ، وساعتئذ خيل اليّ أني أسمع صوتاً من نفسي يقول : اطلق النار فقد أوشكت الفرصة أن تضيع فاستجبت وما وعيت حتى كان الرجل قد انكب على وجهه»

وتلمّ الهواجس أحياناً لكلمة عابرة أو لأمر تافه أو معارضة هينة أو نظرة ناقدة فتحدث في التفكير انقلاباً قد يضيع معه الصواب ، وفي الأعصاب اضطراباً قد يذهب بالاتزان ، وفي النفس ثورة قد تعصف بالحب أو تعصف بالصداقة أو بالقربى فتجد نفسك وقد انقلبت انساناً آخر يكره من أحببت أو يحتقر من أجللت أو يريد الشر بالغالي العزيز .

وتتسامى الهواجس أحياناً فتحض على التماس الجاه أو الغنى أو الشهرة ، أو التفوق . أو تحض على العلم أو الفن أو الرياضة بدنية أو روحانية . وفي سبيل ذلك تحض على السهر والصبر وعلى اتخاذ الأداة والحيلة أو على المجازفة أو المناقشة أو المضاربة ، وقد تسبق الزمان فتبتدع الأخيلة وتصطنع الأحلام وترسم الخطط للاماني العذاب تشتاقها وتحلق لها ولا تعترف للعسير أو للمستحيل بوجود يقف دونها . وكم حققت خواطر الانسان المتسامية هذه من طموح ، وأحدثت للبشرية من عهود جديدة ثم كم أوجدت من اختراع أو أوصلت الى اكتشاف ، كان يرى فوق القدرة البشرية وان اجتمعت له الدنيا .

◆

لذلك كان هذا الحرص النفسي شراً ليس في أطواره جميعاً . فأنت تجد فيه الشر الكثير ، وتجد فيه مع ذلك شيئاً أو أشياء من الخير ، ولكنه على كل حال شيء شاق في الأكثر على النفس ، مقلق للراحة متعب للبدن ، وما أظن ذلك المؤرخ الذي ترجم حياة البشر في ثلاث كلمات : « ولدوا فتعذبوا فماتوا » قد قصد الى شيء آخر غير عذابنا بما نجد من

وساوس أنفسنا

وإذ نجوز هذا المؤرخ الى شاعرنا أبي العلاء نجده يقول: —

تعب كلها الحياة فما أعجب   الا من راغب في ازدياد

ثم يشتط في السخر من دنيا البشر هذه فيقول: —

ولقد زعمت لنا معاداً ثانياً   ما كان أغنانا عن الحالين

ولكن الحياة لها وجه آخر جميل مشرق، وانما يراه الذين يسخرون من وساوس أنفسهم ويخرجون بها عن أنانيتها الى عمل الخير يقدمونه الى الانسانية وهم يقولون مع القائل: —

أليس من الخسران أن لياليا   تمر بلا نفع وتحسب من عمري؟

والآن نصل إلى هذا السؤال: ما هي الهواجس في حقيقة أمرها؟ هي ظاهرة حيوية غامضة كالحياة نفسها، فهي نبضة من نبضاتها، بل هي كالعقل أشد غموضاً من الحياة لأنها لون من ألوانه، وفي وسعنا أن نعتبرها حركة من حركات المخ أو تعبيراً نفسيًّا لأشواق الغرائز.

ثم يخطر على البال سؤال آخر: كيف تلمّ الهواجس بالانسان؟ ليس في مقدورنا أن نبلغ هذه السريرة، فهي ما زالت خارج دائرة الضوء من العلم فيما أظن. ومع ذلك أراني أتخيل الهواجس من عمل جهاز نصّاب في منطقة الدماغ يعمل عمل التيار الكهربي فيرسل ما يريد ويستقبل ما يعرض له من الخارج. وأتخيل له أسلوبين يتحدث بهما، فهو يهجس بالصورة المستسرة يومض بها للمخيلة أو في المخيلة، وحين لا تفي الصورة بالتعبير، أو حين لا تكون هناك صورة كافية للتعبير، يتحدث بالكلام الهامس يبلغنا من مسلك غير الأذن فيما أتصور.

والسؤال الأخير: هل للهواجس من طب؟ ليس من شيء هو أعصى — فيما أعلم — على ارادة الانسان من هواجس نفسه. ولقد مر بنا ما نزل بأصحاب النبي من الفزع عندما نزلت آية « وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ». لذلك لا نطمع في أن نطب لها طبًّا شافياً، وإنما سبيلنا في ذلك أن نشير الى ما نحسب فيه بعض العلاج أو محاولة للعلاج.

عند ما تكون الهواجس عقلية ، فما أجد للمرء سبيلاً الا أن يرجع بها الى العلم ما كانت منه في دائرة الضوء ، وإن لم تكن ، فالى المذاهب الفلسفية أو الدينية أو الصوفية. ولقد قرأت مرة لأحد المفكرين أنه كان يجد في نفسه هواجس شك في العدل الالهي ، ثم اتفق له أن وقف على مذهب الرجعة أو التناسخ فأبرأ هذا المذهب فكره من الشك. وقرأت للدكتور لنك العالم النفسي أنه كان ملحداً ثم هداه علم النفس فعاد الى الدين مؤمناً بأنه وسيلة الحياة الباسلة.

وحين لا يجد المرء ما يشفيه عند العلم او عند الفلسفة او سائر المذاهب والآراء. فليس له بدّ من ان يعيش على ما يطوف برأسه الى أن يشفيه الزمان او ان يفارق دنياه

❖

ولكن الأمر اعصى من ذلك كثيراً عندما تكون الهواجس خلقية ، ولعلّ الخير للمرء حيالها في ان يذكر انها في مستقرها منه شرّ يجب ألاّ يترك لسبيله ، وان اخطاء الدنيا انما تجيء في الغالب من الاصغاء اليها ، وان النجاة منها انما تكتسب على قدر رجوعه بهمسها الى حكمة العقل ثم الى وحي الضمير.

يعجبني من الأمثال مثل تركي يقول : « فكّـر مرتين وتكلم مرة واحدة » وما أرى لهذا المثل من معنى الا أن يقف الانسان من بدوات خواطره موقف الشك دائماً.

ثم أحسب الطبّ للمرء كذلك في أن يستشعر الخوف دائماً من عواقب الاستسلام للهواجس وليس الاّ عن خبرة وعن ألم وجيع كأن قول القائل :

« وصريع كل هوى صريع هوان »

وفوق ذلك علينا أن نرقب الهواجس في أساليبها وفي سبلها ، فالالحاح دأبها ، ودأبها تلوين الأهواء واستغلال ضعف الانسان ، وتفسير الأشياء بما يثير المخاوف ، لذلك كان على المرء أن يقاومها بمثل أساليبها ، فاذا ألحت عليه بهواها ، ألحّ هو بتصور العواقب ، وإذا عاودته من باب آخر أغلقه دونها. وفتح لها من أبواب الخير والبر باباً لعلها تشغف به ، وإذا فسرت حادثاً بمكروه سخر من تفسيرها ورد ما لم يقم عليه الدليل أو يسنده غير الظنون.

أما بعد فهذه معالجة لست أزعم انها جامعة ، وانما هي بصيص قد ينير السبيل امام الذين يريدون أن يحاسبوا أنفسهم.

فن المراجعة

والتعقيب

— ٢ —

للأستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي

وسواء أسارت مراجعة الكاتب على طريقة من هذه الطرق، أم لم تسر، فمن الواجب على الكاتب مراعاة قواعد الصناعة الفنية للمراجعة، واحترام آدابها. وقد سجلناها في صدر هذا المقال(١)، وعلى رأسها الابتداء ببؤرة الشوق، أو وتد الشوق، أو كما يقول أحد عمداء الصحافة الأمريكية الأستاذ ـ جرانت هايد ـ وذلك بالابتداء بالذورة Climax ووضع خلاصة منظمة منطقية لمحتويات الكتاب لبيان هدفه ورسالته.

ونظرة فاحصة إلى مراجعات كتّابنا، تكشف عن مدى تخلي أغلبها عن الكياسة، أو وهن مستواها وجهالتها، أو هوائيتها وتحاملها وعدوانها الأثيم على الكتاب والكاتب. فمنهم من يراجع أو يعقب مراجعة سطحية مضطربة تسير سير النطاط في حركاته الطائشة ولا يخرج منها القارىء بثمرة وهذا ما تنفثه أقلام الشادين في الأدب، وهناك من يعقب تعقيباً رناناً، طناناً، كطنين الزنبور، فيثير في الجو ضجة، وفي الأعصاب توتراً ورجة. وهذا ما يجري عليه المنمقون المتفاصحون. وهناك من يضطر لجمع ما في التأليف من رحيق، ويعز عليه أن يتركه دون لدغة. وهناك من يرجو بمراجعته التقرب إلى أحد كبار المؤلفين، فيملأ كتابته مدحاً وتقريظاً، ويقف أمام كتابه الجديد، كدود الأرض الوضيع. وهناك من يتخذ من التعقيب أداة للتشهير، وتلطيخ سمعة الكتاب وكاتبه،

---

(١) راجع مقتطف سبتمبر سنة ١٩٥١

وهذا هو التعقيب المقربي السام الذي يكشف في الغالب عن نفس كاتبه وانحرافاته السيكولوجية، ويؤدي دائماً إلى تحقيره والزراية عليه.

فهذه التعقيبات السطحية منها، والمتفاصحة، والمادحة منها أو القادحة - شواهد على وهن مستوى الذوق والمعرفة لدى بعض المعقبين، أو على الجموح، والانحراف، وروح النقمة لدى البعض الآخر، وهي تعقيبات تثمر ثمرة عكسية، إذ تتحول حكماً قاسياً على المعقب، وعلى عقله وخلقه، وأدبه، ولن تؤثر في المؤلف تأثيراً يذكر.

فلقد قرأنا تعقيباً، على كتاب «البلاغة المصرية» للاستاذ سلامه موسى، ينم على الجهالة والتصلب الذهني، وطالعنا تعقيبات في العام الماضي بمجلة الرسالة لشاب جامعي مليئة بالتعالم والغرور وتنم على النرجسية، وعجبنا من تعقيب على كتاب «مذكرات» للاستاذ الكبير كردعلي زافر بالنقمة منه على صراحته، وتلونا في مجلة الكتاب ببعض تعقيبات مطبوعة بطابع النفاق والتمدح بمؤلفات بعض كبار الأسنان، وزعجنا من تعقيب في مجلة المقتطف على ديوان لأحد شعراء الحجاز، وعي العيوب ولم يذكر للشاعر حسنة.

ولا نود أن نذكر في هذا المقام أسماء هؤلاء الكتّاب، ولا أن نعدد أمثلة لهذه المهازل التي ترجع أصولها إلى أزمة الخلق وضيق الأفق من ناحية، وإلى تهاون المحرر المسئول في الصحف والمجلات في المسئولية الأدبية الخطيرة الملقاة على عاتقه، وعدم اكتراثه بمدى الحرية القلمية.

ومثل هذا التهاون برئت منه المجلات والصحف الغربية الراقية، لأن المحرر الأدبي يوزع الكتب الجديدة على المعقبين بحسب مقدراتهم وفهمهم لموضوعات هذه الكتب، ولا يترك المعقب يقول كما يهوى، بل تعقد في المجلة أو الصحيفة لجنة لمناقشة هذه التعقيبات، وفي هذه الطريقة المثلى انصاف للمعقب وللمؤلف على السواء، واحترام للمجلة والثقة بها.

ويقتضينا الانصاف أن نسجل أن البيئة الفكرية في مصر، أشرقت بطائفة من التعقيبات الواعية الذكية لبعض الكتّاب النابهين، ونذكر منهم: الدكتور أحمد زكي أبو شادي، والأساتذة علي أدهم، وشوقي ضيف، والصيرفي، والدكتور يوسف كرم، والدكتور يوسف مراد، والدكتور زيور، والدكتور الاهواني، والدكتورة عائشة عبد الرحمن والأساتذة عادل الغضبان، وعبد الغني حسن، ووديع فلسطين، ومفيد الشوباشي، ومحمد فهمي، ورضوان ابراهيم وغيرهم من الكتّاب.

وتتفاوت تعقيبات هؤلاء بتفاوت ثقافتهم، ورهافة مشاعرهم، واتجاهاتهم الفنية. ومقدراتهم القلمية.

ويستحيل علينا في هذا المقال الوجيز أن نبين مدى كفاية تعقيبات هؤلاء الكتّاب أو غيرهم، الاّ الاتجاهات الفنية الغالبة عليهم، ويمكن للقارىء الحكم على هذا كله، على ضوء ما قدمنا من توجيهات وآراء. ولن يمنعنا هذا من الاشارة العابرة إلى ما قرأناه مؤخراً من تعقيب للدكتور يوسف كرم في مجلة الكتاب لكتاب «فلسفة المنزلة»(١) فقد كان تعقيباً وضيئاً ذكيًّا ضم نسيجه خيوطاً ملتحمة من المذاهب الفنية الثلاثة التي أسلفنا ذكرها، فقدم له بمقدمة شائقة، وأبان جهد المؤلف في بحثه وذكر أهم آرائه. وأعطى صورة عامة صادقة تفتح العيون إلى قيم الكتاب وفضائله في وحدة أسلوبية محكمة.

وما قرأناه في عدد أكتوبر عام ١٩٥٠ في المجلة ذاتها من تعقيب للدكتور شوقي ضيف على ديوان «نبع الحياة»(٢) فقد كان تعقيباً صريحاً ذكيًّا لشعر الديوان بوجه عام، وقد غلف ما وجهه إلى مؤلفه من نقدات في وشاح مهذب مؤدب، ولو كان المعقب حدثنا عن بعض قصائده وأتى بنموذج منها، لكان تعقيبه متكاملاً، ولأعطى القارىء مادة للحكم بنفسه على الديوان.

وطالعنا في مجلة علم النفس تعقيباً طيباً للكاتبة الفاضلة فاطمة موسى لكتاب الأستاذ محمد خلف الله: «من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده»(٣) نوّهت في فاتحته بفقر المكتبة العربية من مثل هذه البحوث، وأبانت الصلة الوثيقة بين الأدب وعلم النفس، واستشهدت بنبذة من الكتاب في توضيح هذه الصلة، ثم تناولت الكتاب باباً باباً على الطريقة الكلاسيكية التي شرحناها آنفاً، وقد فاتها أبراز أهم أراء المؤلف، لاعطاء فكرة واضحة عن هذا المؤلف النفيس، واضافة أكثر من نبذة من الكتاب لبيان هذه الآراء.

ووقعنا في مجلة «الأديب المصري»(٤) على تعقيب للقاص الشاب أحمد عباس صالح عن رواية «النقاب» للاستاذ عبد الحميد جودة السحار، تحدث فيه عن أثر البيئة في

---

(١) مجلة الكتاب — فبراير ١٩٥١ فلسفة المنزلة — تأليف الدكتور ألبير نصري نادر

(٢) ديوان «نبع الحياة» للاستاذ محمد عبد الغني حسن.

(٣) مجلة علم النفس مجلد ٥ — أكتوبر ١٩٤٩ — يناير ١٩٥٠

(٤) مجلة الأديب المصري — يونيو ١٩٥٠

المؤلف، واقتصاره على الاعراب عن أفكار الطبقة المتوسطة في مصر، وميل هذه الطبقة إلى الدفاع عن تقاليدها الموروثة، وهو بهذا يضرب مثالاً للاتجاه الواقعي في التعقيب، وإن لم يفته ذكر هنات فنية في الرواية، وقد فات المعقب أن يسير على طريقة فنية في تعقيبه.

ويبدو من هذه الالمامة القصيرة، كيف تتفاوت التعقيبات على الكتب الجديدة في تكاملها أو قصورها، وفي قوتها أو كلالها، وفي ميلها إلي مذهب بعينه، أو سيرها مستقلة أصيلة.

◆

ومع اتسام كثير من التعقيبات في مصر بالامتياز والنزاهة واللطف، فان طائفة منها يرنقها التزمت، والانحراف، والتطرف، أو تعوزها العناصر الفنية.

فبعض التعقيبات الكلاسيكية للكتب القيمة تحاول أن تعيبها بذكر هنات لغوية أو نحوية، أو أخطاء مطبعية، دون اهتمام بذكر بما وعت من آراء وأفكار جديدة بالتقدير، وهذا هو التعقيب الفقهي، وهو أشبه ما يكون بفارغ البندق، الذي يتعب الأنياب في كسره دون ثمرة. ومن مثال هذا ما قرأناه للاستاذ سيد صقر تعقيباً على كتاب «غوطة دمشق» (١) إذ سرد المعقب أبواب الكتاب سرداً وأعقب ذلك بهفوة لغوية، وغلطة جغرافية على زعمه وختم العرض بالثناء المستطاب على المؤلف، ووصف الفصل الأخير بأنه بلغ ذروة الكمال والجمال.

ويدخل في باب التعقيبات الفقهية، تلكم التعقيبات الملونة المزركشة الزاخرة بالأصباغ التي تنادي القارىء إلى جمالها المجلوب، ولا تهيب به إلى قراءة الكتاب المعروض، وهذا ما نقع عليه في مثل كتابات الأستاذ كامل عجلان.

وتوغل بعض التعقيبات الرومانتكية في الذاتية، فيهوم المعقب في دنياه، ويحوم بالقارىء حول سحابة دكناء، لا يرى من ورائها سماء ولا ضياء، ويطمر الكتاب الجديد في لحد مظلم كئيب، وتجري بهذه التعقيبات أقلام بعض الشعراء العائشين في الأبراج، وهؤلاء قلال بل نوادر في مصر.

ويدخل في باب هذه التعقيبات الذاتية، تلكم التعقيبات المتأثرة بالاعتبارات الوجدانية، إذ يعمل المعقب على التهوين من كتب قيمة لخلاف مع المؤلف في الرأي، أو المذهب، أو وجود تنافر شخصي بينهما، وهذا ما نلمسه في بعض تعقيبات الأستاذين

---

(١) مجلة الثقافة

سيد قطب، والعوضي الوكيل.

وتعرف بعض التعقيبات الواقعية في اتجاهها، وتنظر إلى كل تأليف فني نظرة استخفاف وتهوين، ويتجاهل كاتبو هذه التعقيبات تباين طاقات المؤلفين وتنوع تجاربهم، وآثار الصنيع الفني الذي لا يساير وجهة نظرهم، في أرهاف المشاعر، وتهذيب الوجدان، ومن بين هؤلاء الغلاة نذكر الأستاذين مفيد الشوباشي ونجيب عزب وغيرهما.

وكثير من التعقيبات التي وقفنا عليها، سواء أسارت على مذهب أم لم تسر، لا تعتمد طريقة الكتابة الفنية، وانما هي تعقيبات يجري فيها المعقبون كيفما يتفق. فالفكرة الجوهرية شاحبة مختنقة، في زاوية من زوايا التعقيب، والمادة مضطربة مختلطة، وفقرات التعقيب متشابكة، لا تقوم كل فقرة بفكرة، وهدف المؤلف واهن عليل إن كشف عنه المعقب، والبداية لا نكهة فيها، والنهاية مائعة، فاترة.

والذي يثير الشجى حقًا، تعرض كثير من المعقبين لألوان من الفن لا يفهمونها، فمعقب على الشعر، لم يهذب ذوقه، ومعقب على القصة، لم يعرف لها أصولاً، ومعقب على الدرامة، لم يثقف قيمها، فلا جرم إذا شاهدت أغلب التعقيبات وعجزت عن انصاف المؤلفين، وخدمة التأليف، والحركة الفكرية في مصر.

◆

ومع هذا، فما زلنا نحيي الأمل في ازدهار فن المراجعة والتعقيب في هذه البلاد، إذ قدّر الكاتبون مهمتهم نحو المؤلفات الجديدة، وأدى المحررون الأدبيون واجبهم. ومهمة الكاتبين تنحصر كما أسلفنا في ثنايا هذا المقال. في قراءة المؤلفات الجديدة قراءة عميقة، وتقديم خلاصة مركزة للقارىء المشوف، والاعراب عن آرائهم في شرف ونزاهة وشجاعة مقرونة بالأدب والكياسة

أما واجب المحررين الادبيين فيقوم على العناية بالمؤلفات الجديدة التي تخرجها المطبعة سواء أهديت للصحيفة والمجلة أم لم تهد أليها، والاهتمام بالكتب القيمة منها، وتوسيع صدرها لأقلام الكتّاب الممتازين في بيان فضائلها أو هناتها، دون نظر إلى شهرة المؤلف، ومركزه الاجتماعي. فقد أصبح اليوم في عنق هؤلاء المحررين أبراز الموهوبين من الكتّاب المغمورين، كما أصبح في ذمة المراجعين والمعقبين، تزويد القارىء بلباب المؤلفات، وانصاف الأعمال القيمة، ونصرة المؤلفين الناضجين العاملين في كد وابداع.

ما يهمك أن تعرف عن :-

+
Potassium
Chloride

العناصر المعدنية

ماهيتها وخواصها في جسم الانسان

— ٦ —

للأستاذ اسبيرو جبري

+

كلوريد البوتاسيوم

البوتاسيوم فلز لين أبيض ينصهر عند درجة ٦٢م ويغلي عند درجة ٧٦٠ متحولاً الى ابخرة خضراء جميلة. يوجد عنصر البوتاسيوم في مياه البحار وطبقات الأرض والصخور. ومنطقة البحر الميت في فلسطين غنية بأملاح البوتاسيوم، وهو عنصر هام للبنية ويدخل في تركيب النسج الرخوة، كما انه عنصر ضروري، لعملية انقسام الخلايا وبناء المواد البروتينية، واختزال المتراتات في جسم الانسان.

والبوتاسيوم (١) عنصر كثير الشبه بالصوديوم في جميع خواصه الطبيعية والكيميائية، لذلك كانت أملاح العنصرين متماثلة تماماً في هذه الخواص، ولكن من الغريب أنها تختلف تمام الاختلاف في الخواص الفسيولوجية، فمثلاً كلوريد البوتاسيوم لا يحل محل كلوريد الصوديوم في تجهيز الطعام.

وأول من ميز بين أملاح الصوديوم وأملاح البوتاسيوم هو أبو منصور الموفق الفارسي وذلك في القرن العاشر للميلاد، فقد فرّق بين كربونات الصوديوم وكربونات

---

(١) قصة العناصر للاستاذ امبابي أحمد

البوتاسيوم وشرح طرق استخلاص هذين الملحين من رماد بعض النباتات .

ولم تلاحظ أمراض نقص التغذية نتيجـة للحرمان من البوتاسيوم ، لأنه موجود في كل المواد الغذائيـة بنسبة مرتفعة . فهو يوجد في جميع أنواع النبات بنسبة تتراوح بين ١ و ٠ الى ١ ٠ ٪ من وزن النسج الطازجه الحية ، وتبلغ هذه النسبة نهايتها العظمى في الأجزاء الدائمة النمو مثل أطراف الأوراق والجذور الثانوية ، كما يوجد بكثرة في الخضر والبطاطس والبطاطا والقلقـاس . واذا أكل الانسان كثيراً من هـذه الخضر وجب عليه أن يضيف الى غذائه ملح الطعام ليحصل التعادل الضروري للبنية .

وتزيد كمية البوتاسيوم في الحبوب والبذور عن كمية الصوديوم والعكس في أوراق النبات حيث تحتوي على كمية من الصوديوم تزيد على كمية البوتاسيوم ، كما هو الحـال أيضاً في بعض الجذور ، ولذا فأملاح الصوديوم ^(١) موجودة في السوائل بكمية أكثر من أملاح البوتاسيوم ، اما في النسج فأملاح البوتاسيوم تزيد على أملاح الصوديوم

ويوجد البوتاسيوم كذلك في نسج جميع الحيوانات (٢) فان مجموع ما يحويه جسم الحيوان منه ، يعادل ـ أو يزيد قليلاً ـ مجموع ما يحتويه من عنصر الصوديوم ، غير أن توزيع كل منهما داخل الجسم يختلف فيما بينهما اختلافاً كبيراً . فالبوتاسيوم وهو موروث عن المملكة النباتية يتجمع غالباً في النسج الصلبة . أما الصوديوم الذي كان مهده الأول مياه البحار والحيوانات البحرية فيوجد بكثرة في السوائل والأوساط الرطبة من الجسم .

﴿ مركباته ﴾ ومن أهم مركبات البوتاسيوم (٣) أوكسيده الأول وأوكسيده الرابع ، وهـذا الأخير عامل مؤكسد يفوق في قوته الأوكسيد الثاني للصوديوم . ومن مركباته البوتاسا الكاوية أو هيدروكسيد البوتاسيوم (أوكسيد البوتاسيوم المائي) ويدخل هذا المركب في صناعة الصابون الطري وغيره من الصناعات . ثم هناك أيضاً كربونات البوتاسيوم وبيكربوناته وكلوريده وبروميده .

والبوتاسيوم ضروري لتكوين النشويات والدهنيات (٤) ، كما انه ضروري لتكوين

---

(١) كتاب الكيمياء ومسائل الحياة اليومية للاستاذ حسن عبد السلام

(٢) كتاب الاغذية للاستاذ حسن عبد السلام

(٣) قصة العناصر للاستاذ امبابي أحمد

(٤) كتاب الغذاء وأثره في حياة الانسان للدكتور محمد يسري

المواد الزلالية التي هي جزء من خلايا النباتات . ويقوم البوتاسيوم بعمليته على أحسن وجه عندما تكون العناصر الأخرى موجودة بكمياتها الكاملة .

وعنصر البوتاسيوم يلعب دوراً هاماً في تكوين الجليكوجين (النشاء الحيواني) من الجلوكوز (السكر) وفي تكوين المواد الدهنية أيضاً من الجليكوجين أيضاً — وتكوين البروتيد (المواد الزلالية في الكائنات الحية) من البيبتون (حاصل الأغذية البروتينية في الجسم) ومن البروتيوزات أو المتوسط بين بروتيدات الأغذية والبيبتونات .

والكبد — وهو العضو الأساسي في تكوين الجليكوجين — يحتوي على جزئين من عنصر البوتاسيوم نظير جزء واحد من عنصر الصوديوم ، بينما يحتوي الطحال على جزء واحد من البوتاسيوم نظير أربعة أجزاء من الصوديوم .

وعنصر البوتاسيوم متغلب في كريات الدم الحمر وفي المخ، وعلى هذا يمكننا أن نستنتج أن عنصر البوتاسيوم له صلة بتوليد الكهرباء الحيوية ووظائف المخ والجهاز العصبي .

وبالاضافة الى ما تقدم فان البوتاسيوم عنصر ضروري لحياة الأعصاب (١) ، كما أنه يعاون في تنظيم ضربات القلب وذلك بتأثيره على العضلات ، ووجوده في الجسم يمنع تصلب الشرايين والعضلات وبقية النسج ويحفظها في حالة رخوة مرنة .

أما نقصه في جسم الانسان فيسبب الامساك وضعف الدورة الدموية . والأشخاص المهزولون الذين تغلب عليهم النحافة يحتاجون لعنصر البوتاسيوم أكثر من غيرهم .

وتشير البحوث التي أجراها العلامة ميلر (Miller) سنة ١٩٢٦ الى أن البوتاسيوم ضروري أيضاً لنمو الحيوان ، فقد وجد أن نمو الجرذان الصغيرة يقف عندما ينخفض مقدار البوتاسيوم في غذائها عن ١ و ٠ في المائة .

وتستخدم أملاح البوتاسيوم في الأماكن التي يقل فيها ضوء الشمس عن القدر الذي يكفي لنمو النبات . وهذا بديهي لأن ضوء الشمس ضروري لعملية التمثيل الكلوروفيلي ، وحيث ان هـذه الأملاح تساعد الورقة على التمثيل فهي خير ما يستعاض به عن ضوء الشمس .

وسليكات البوتاسيوم الالومنيومية كثيرة الانتشار في الأرض ومنها تتسرب مركبات

---

(١) كتاب الاغذية للاستاذ حسن عبد السلام

البوتاسيوم الى التربة بفعل الأمطار وعوامل الطبيعة الأخرى ومن ثمَّ يمتصها النبات .

❊ اشعاع البوتاسيوم ❊ ثبت أن البوتاسيوم يشع أشعة كهربائية من نوع بيتا (ب) كالراديوم ، وقد تعذر وجود هذة الصفة في الصوديوم قبلاً مع أنه مماثل للبوتاسيوم في كثير من خواصه . ولكن يرجح من بعض الاعتبارات الجيولوجية ان هـذه الصفة موجودة فيه أيضاً ولو كانت أقل منها في البوتاسيوم .

وتمتاز أملاح البوتاسيوم في تسميد الأرض بأنها تنشط النبات وتساعد الأوراق على تمثيل ثاني أوكسيد الكربون وتكوين الكربوايدراتات ، ولذا كان تأثير هـذا النوع من الأسمدة أظهر ما يكون في المحصولات الكربوايدراتية كالبطاطس والقصب والبنجر .

وقد لوحظ أن التيل المصنوع من كتّان زرع في ارض غنية بأملاح البوتاسيوم يمتاز بالرخاوة والنعومة والمرونة ، على حين أن الكتان (١) المزروع في أرض جيرية فقيرة إلى البوتاسيوم ينتج نوعاً من التيل رديئاً سهل القصف . وقد أدرك الفلاحون أهميـة البوتاسيوم لحيـاة النباتات منذ العصور الغابرة ، فكانوا يحرقون الأخشاب والأعشاب ويسمدون التربة برمادها لأنه غني بأملاح البوتاسيوم . فاذا كان تسميد التربة وتخصيبها بأملاح البوتاسيوم واجباً من حين لآخر ، فأن من الواجب أيضاً تسميد الجسم بإمداده بمقدار من هذه الأملاح عن طريق الأغذية .

ويعطي يودور البوتاسيوم في أقراص الشيكولاته لأطفال المدارس في المناطق التي يكثر فيها مرض الجواتر Goitre (أي تضخم الغدة الدرقية) ، ويوضع أحياناً بكميات قليلة جداً في ميـاه الشرب . ولكن يستحسن عدم تعاطي هـذه الأقراص إلا باذن خاص من الطبيب ، لأن القليل منها شديد الضرر كالكثير .

أما بروميد البوتاسيوم فيستعمل مسكناً للأعصاب ومنوّماً وننصح بالاقلال من تعاطيه لأن كثرة استعماله والتعود عليه قد يؤثر في القوى العقلية .

وكلورات البوتاسيوم تستعمل في بعض الأغراض الطبية كالتطهير وقتل الجراثيم ، ولأنه مؤكسد قوي يدخل في صناعة المفرقعات بخلطه بالفسفور والكبريت ، وفي صناعة الثقاب (الكبريت) وفي صناعة الألغام والمواد الناسفة .

---

(١) كتاب الاغذية للاستاذ حسن عبد السلام

الدراسات العربية

في اميركا(١)

للأستاذ فرحات زيادة

في الولايات المتحدة اليوم نزعة قوية الى درس اللغة العربية والحضارة الاسلامية والنواحي المتعددة من حياة الأمة العربية من ثقافية وسياسية واجتماعية واقتصادية. ودرس هذه العلوم لا يوازي درس العلوم الأخرى من حيث عدد الطلبة وعدد المعلمين وعدد الدوائر التي تختص في هذه الناحية بالجامعات ومعاهد العلم الأخرى. فدرس اللغة العربية لايوازي في الأهمية درس اللغات الاوربية مثلاً. ولكننا إن قابلنا اهتمام الأمريكيين بالدراسات العربية في هذه الأيام باهتمامهم فيها قبل عقد واحد من السنين لبرز الفرق واضحاً جلياً، ولأعجب المرء بهذه السرعة في تناول هذه الناحية من الحضارة العالمية واشباعها بحثاً ودرساً يكاد يوازي الجهود الكبيرة التي قام بها المستشرقون الاوربيون في قرنين من السنين.

قبل هذه النهضة الأخيرة لم يكن للدراسات العربية نصيب ذو بال في الولايات المتحدة. ومع أن عدة جامعات أقامت كراسي فيها للغات السامية وآدابها تمثلاً بجامعات أوربا، فان جهود المتربعين على تلك الكراسي توجهت نحو الدراسات العبرية القديمة المتعلقة بالتوراة وبدرس الحضارة الأشورية القديمة.

وقد عرضت أحياناً بعض الدروس العربية ولكن الباعث على ذلك لم يكن رغبة ملحة في درس هذه اللغة بل كان هذا الباعث مقابلة العربية باللغات السامية الأخرى كيما يستطيع العلماء أن يحسنوا تفهم الكتابات العبرية والآرامية والسامية الأخرى. ولم يفكر أحدهم في اتقان اللغة العربية كيما تصبح لديه اداة فعّالة للبحث والتنقيب في مكوّنات الحضارة الاسلامية وقيل أن حوالي سنة ١٨٨٠ عندما كتب أحد الطلاب أطروحة في جامعة هارفورد عن موضوع عربي اضطر الى ارسال تلك الأطروحة الى استاذ السنسكريتية في جامعة «ييل» لانه كان الأستاذ الوحيد في أمريكا الذي يلم بالعربية. وكان من الطبيعي أن تتجه جهود

---

(١) حديث على «صوت أمريكا» للاستاذ فرحات زيادة خص به المقتطف

المستشرقين بين الأمريكيين الى العبرية والآرمية قبل العربية ، وذلك لأسباب منها صلة الأولى والثانية بالتوراة وبالعهد الذي كتبت فيه التوراة ، ومنها أيضاً أنه يسهل نسبيًّا على المرء تعلم العبرية والآرامية والآشورية لقلة عدد كلماتها والكتب المكتوبة بها بالنسبة للعربية ذات التاريخ الطويل والصرف المتشعب والألفاظ الواسعة .

ومن ناحية أخرى ورث الأمريكيون تلك النظرة الأوربية التي كانت تحسب الثقافة الأوربية الأصل أسمى ماوصل اليه الانسان، وان تلك الثقافة هي الحرية بالدرس والعناية اكثر من غيرها . فكان من الطبيعي ألاّ تنال الثقافات العالمية الأخرى ومنها العربية اهتماماً كبيراً . وزد على ذلك أن بعض القصص الغربية والأفلام السينمائية كانت ولا تزال في بعض الأحيان تصور الحياة العربية بشيء من الغرابة والهجانة مما أدى في بعض الأوساط الجاهلة الى الحط من منزلة الحضارة العربية ، وبالتالي قلة الاهتمام بدرس نواحيها المختلفة .

ثم إن طريقة التدريس العربية كانت عقيمة الى درجة كبيرة لأنها اتبعت طريقة تعلم اليونانية القديمة واللاتينية وغيرهما من اللغات الميتة . فلم يلتفت المعلمون إلاّ الى اللفظ الصحيح والى نبر الكلم والى الأدب القديم ليس إلاّ . وكان تدريس العربية يقدم لطلاب الدكتوراه في كليات المتخرجين فقط في محيط ضيق محدود ولم يحلم أحدهم بتدريس هذه اللغة لطلبة البكالوريا كتدريس أية لغة أخرى كالفرنسية والألمانية كيما تتسع آفاق الطالب ويصبح ملمًّا بشئون قسم كبير من العالم يتكلم هذه اللغة ، وقسم اسلامي يعد هذه اللغة أفضل لغة على الارض لكونها لغة السماء .

أما الجامعات التي تقدم دروساً عربية في قسم المتخرجين فهي جامعة كاليفورنيا ، والجامعة الامريكية الكاثوليكية وشيكاجو وكولومبيا وهارفورد وجونز هوبكنز وميشيجان وبنسلفانيا وبرنستون وييل . على انه في السنين الأخيرة أخذت فكرة جديدة تستولي على الأوساط العلمية وعلى القائمين على شؤون الجامعات ومعاهد التعليم في أمريكا وهي أن البلدان العربية خاصة وبلدان الشرق الاوسط عامة لم تنل حتى الآن نصيبها من الدرس الذي يتناسب مع اهميتها العالمية ليس فقط في ميدان الاقتصاد والسياسة بل وفي ميدان الثقافة والحضارة العالمية ، ولربما كان الوازع الى هذه الفكرة أن روح الانعزالية التي كانت مسيطرة على أمريكا قد زالت بعد حربين عالميتين خاضتهما فاتسعت الآفاق وأخذت هذه البلاد تعتقد أن هذا العالم انما هو وحدة وثيقة العرى على أي فرد مثقف فيه ان يلم بحضارات العالم الأخرى كي يسهل التفاهم بين الأمم ويتم التعاون بينها على أسس متينة.

الرحيل

للآنسة الشاعرة نازك الملائكة

سنرحلُ، لاحَ صباحٌ عميقٌ .. وراءَ السَّوادْ
ولم يبقَ الاَّ ضبابٌ خفيفٌ يلفُّ الوهادْ
ويحلُمُ مكتئباً في عيونْ. طواها السُّهادْ
وصاغت مع الليلِ أغنيةَ الرحلةِ القادمهْ
إلى أفقٍ كوكبيِّ الستورْ
يُمدُّ جذورْ ..

وراءَ مسالِكنا القاتمهْ

سنرحل ، فالأنجمُ الواقفاتْ .. تشيرُ لنا
أصابعها اللدنةُ المخمليَّةُ في دَرْبنا
تطرِّزُ كلَّ غدٍ قادمٍ بخيوطِ المُنى
تَقود خطانا خلالَ الشعابِ الطوالِ المضنَّهْ
سَنرحلُ بعد زمانٍ قصيرْ
وعصرٍ صغيرْ
فلم تبقَ من ليلِنا غيرُ ومضهْ

كلمة « صرير » في المقطع الاخير صوابها « خرير »

ومنْ سنواتِ الاسارِ المؤرّق من الف ظُلمهْ
تلُـف مدًى أسوداً لا تمسُّ دياجيهِ نجمَـهْ
ستبدلِنا حافةُ الكأسِ قطـرةَ حبٍّ وبسمهْ
وتحملنـا عربات الـكواكب عَبرَ الحزونْ
وراء بحار الندى والظلالْ
وحيث الجمالِ
يُمَـسُّ ، ويشرب به المتعبونْ

وداعاً صحارَى العويلِ فقد حان فجر السنينْ
وآن لنـا أن نجوب البحـار مع الراحلينْ
عطشنا طويلاً وكانت كؤوسكِ ملأى أنينْ
ينوحِ الفـراغ عليهـا وموكبنا البـاحثُ
تجرَّعَ حتى كؤوسَ الدموعْ
ونار الضلوع
وجُـنَّ به شوقُـه اللاهثُ

وفي الغد من بعدِنا إن أطلَّ جبينَ القمرْ
ولامس ضوءُ النجوم النشاوَى صريرَ النهرْ
ورنَّ مع الليل صوتٌ بعيد الصدَى .واندثرْ
كما رنَّ يسأل عنـا ، وأين رمتنـا البحورْ ؟
فقولي له : إننا لن نعودْ
لأرض القيودْ
فقد أشرق الفجر منذ عصور

انهاض المجتمع

هندسة الماء في مصر

للاستاذ حبيب عوض الفيومي

النيل وحده هو مصر ولولاه ما كانت شيئاً يذكر . وهو مصدر العمران فيها وبه تقوم حياتها . ومهما يصب وادي النيل من ضر أو شر فهو أمر يمكن تلافيه ما استقامت لها أمور النيل . فلينظر المصلحون إليه كلما أحاطت بهم الكوارث وليطلبوا لديه الخلاص اذا حزبتهم الخطوب . ومن حسن صنع الله بوادي النيل أنه لا يهبط إلينا بين جبلين ولا يمر بنا في نفنف[1] ضيق من الأرض ولكنه ينساح الهوينى بين صحراوين لا ترتفعان عن مجراه إلا قليلاً . وان هاتين الصحراوين أرض سهلة غير بالغة الصلابة وأنه لا حد لاتساع الصحراء الغربية منهما ولا نظير لسهولتها . وليس من المستساغ أن يقذف المصريون بماء النيل في بحرها الشمالي ولديهم ذلك البراح الأعظم بل جنة النيل المستقبلة وهم مع ذلك ، أو أكثرهم ، يتضورون جوعاً . ولولا ما تسعفهم به الأقطار الأخرى من الغلات لماتوا من الجوع ذلك كله والأمر ميسور لهم جداً . متى كان لديهم مسكة من عزيمة أو تصميم . ولكن القادة والسادة المتعلمون في مصر لا يتعلمون لكي يعملوا أو يجتهدوا في خدمة بلادهم . بل انهم يتعلمون ليحكموا وينعموا ولكي يأخذوا لانفسهم أوفى نصيب من الغنى مع أوفى نصيب من الراحة والدعة . أما استعمار الصحراء واما استغلالها، فهو أبعد شيء عن أفكارهم وعن همومهم ومطامحهم . لأنهم لا يريدون أن يتركوا مناعم المدن ومباهجها وملذاتها ومراقصها ومسارحها وسهراتها ، الى بضعة أيام أو شهور يقضونها في الصحراء . لكي يبذلوا من أنفسهم أدنى جهد لتعمير مصر أو جلب الرخاء الى أهلها . وما لهم ولهذا وجيوبهم عامرة بالمال والغذاء موفور لهم واللباس ميسور على أتم الوجوه وأكملها . واذا خرجوا الى الصحراء فمتى تتاح لهم اذن فرص البطالة وما فيها من المؤانسة والحياة الرتيبة الرخية . ولأي شيء إذن قد حصلوا على

---

(١) النفق المضيق بين جبلين

الشهادات العالية اذا لم يكافأوا عليها بحياة (الديوان) وسلطته ورياسته وما يتبع ذلك من درجات ومرتبات . إن هؤلاء السادة يحبون العظمة ولكنهم يتجنبون المغامرة . ويريدون الغنى ولكنهم لا ينالونه إلاّ سحتاً مغتصباً من الأيدي والأفواه من دافعي الضرائب والكادحين الأشقياء من مواطنيهم بل لقد لؤم بعضهم حتى حوّلوا كلمة (المغامرة) عن معناها الأصيل العظيم الى معنى المغازلة والمطاردة الماجنة . ان ثمّ بوناً شاسعاً بين ما تعلمه هؤلاء السادة وبين ما اختاروه لأنفسهم من طرق المعيشة والعمل . ومنذ كانت الصحراء والماء هما مجالهم الأسمى ومثلهم الأعلى فإنهم والعمل النافع على طرفي نقيض .

لا شك في أن الأرض في وادي النيل تنحدر من الجنوب الى الشمال . وقد أجمع الثقاة على أن درجة الحدود فيها هي ثمانية أجزاء من مائة جزء من المتر الواحد في كل ألف متر . فاذا فرض ان المسافة بين مدينتي المنيا والقاهرة هي مائتا ألف من الأمتار فان المستفاد من ذلك ان سطح ماء النيل عند المنيا يرتفع عن سطحه عند القاهرة بمقدار ستة عشر متراً ومدلول ذلك أنه إذا فرض أن سطح الصحراء غرب القاهرة يرتفع عن سطح ماء النيل بمقدار ستة عشر متراً لكان من الممكن شق ترعة تأخذ من النيل عند المنيا فتخترق الصحراء غرباً وتسير من الشمال الى الجنوب حتى تحاذي القاهرة وسط الصحراء وتكون درجة الحدود فيها بين المنيا والقاهرة أربعة أمتار اذا كان عمقها ستة أمتار وعمق مأخذها من النيل مترين . ولقد أنشأ القائمون بالأمر قديماً ترعة الاسماعيلية لكي يسقوا منها المدن التي عمرت بعد حفر قناة السويس فخصبت منها قفار الصحراء شرق الدلتا واحيت موات الأرض فيها . ولعلهم لولا قناة السويس وسقي المدن التي تمر بها ما فكروا في فتح تلك الترعة . كذلك كان شق القناة وسط الصحراء دليلاً قاطعاً على أن حفر الترع في الصحراء أمر سهل ممكن التحقيق لمن يريده . واذا كانت ترعة الخليج قد اخترقت الصحراء في قديم الزمن حتى بلغت خليج السويس فوصلته بالنيل فان شق ما هو أوسع وأعمق ، مع تقدم العلوم واكتمال الآلات . يكون اليوم أسهل وأيسر .

فها هوذا عمل يجعل أرض مصر من أخصب أقطار الدنيا وأكثرها عمراناً وازدهاراً. ثم هو مع ذلك لا يكلف من المال كثيراً ازاء ما يجلبه من الرغد والاتساع في رقعة العمران . ولا يستغرق القيام به أكثر من خمس سنين . وهو أن تشق ترعة عميقة واسعة تأخذ من النيل امام مأخذ الترعة الاسماعيلية وان يكون مجرى هذه الترعة متجهاً الى الغرب حتى تنتهي الى منخفض القطارة . وهناك في أول المنخفض تنقسم الترعة الى فرعين يجري أحدهما على حافة المنخفض اليمني ثم يجري الآخر على الحافة اليسرى ثم تدوران حوله ، إذا كان الماء كافياً . حتى يتلاقيا في حافته الغربية . وعلى مدى جريانهما

حول المنخفض تنزل منهما الجداول والقنوات متجهة الى ناحية القاع حيث تنشأ القرى والعساكر والمدن . ذلك على أن يترك القاع الواسع العميق لكي يكون بحيرة تأخذ ماءها من البحر . ويصب فيها ما عساه أن يفيض من تصريف الأرض المزروعة . ولقد كان من رأي بعض المهندسين أن يطلقوا ماء البحر في هذا المنخفض ليفيدوا من هبوط الماء فيه قوة كهربائية ، وهذا مشروع طيب غير انه ناقص . فمن نقصه أنهم لم يفكروا في زراعة المنخفض . فمن المستطاع تحقيق ما أرادوه بقوة من ماء النيل وقوة أخرى من ماء البحر فيكون امتداد العمران وانتفاء الفقر والعوز أصلاً جوهريًّا ، وتكون الكهربة فرعاً متمماً له وآتياً بعده ، فتكون الكهربة إذ ذاك في وسط البلدان التي ستنشأ فيستغلها السكان في زراعاتهم وصناعاتهم وفي دورهم . وإذا بقيت قوة كهربية بعد ذلك فلا ضير من لحاقها بوادي النيل . ومن نقص ما شرعوا فيه أيضاً أن القوام على استجلاب الكهرباء من ماء البحر سيجدون أنفسهم منفردين الى الأبد بين الصحراء وماء البحر ثم هم مع ذلك مسئولون عن توصيل قوتهم الكهربية الى العمران الذي يبعد عنهم أميالاً عديدة . إن هذه الترعة ، بل هذا الفرع الذي أشير بحفره هو المنقذ الأول لمصر ، ومتى بدىء به فلتفرع منه فروع يكون أولها غرب شمال قرية الوراق ثم يتجه الى الشمال حتى ينتهي الى الترعة النوبارية ثم تتوالى الفروع بعد ذلك متجهة الى الشمال فيتلاقى بعضها مع الترعة المحمودية وبعضها مع بحيرة مريوط ، وهكذا الى الغرب حتى يكون سيف البحر حاشية على أطراف الغياض والرياض . وعند البدء بالعمل يحسن القيام بتفريع الفروع مع حفر الأصل في وقت واحد ثم يستجلب الماء فوراً ويدفع الى الفروع فليس من الحزم تعطيل ما يتم حتى ينجز الباقي ويكون ذلك باقامة قنطرة أمام كل فرع تكون فيها أبواب تفتح وتغلق حتى لا ينطلق الماء الى الحافرين وهم يعملون ثم تكون القنطرة بعد ذلك أداة لرفع الماء أمام كل فرع . وفي انتهاز الوقت ربح مالي يساعد استنجازه على النهوض بسائر العمل وانفاذه . ولئن بدا بعد ذلك ان الماء في بعض شهور العام لا يكفي اسقي هذه البسائط الواسعة ففي زراعتها مرتين كل عام ما يكفي ويغني ، فكذلك كان الشأن في مصر العليا والوسطى قبل انشاء المسنّاة (الخزان) في اسوان وذلك الى أن يحين الوقت الذي تنشأ فيه المساني الأخرى فتروي هذه البسائط طول العام . فان ري الصحراء بماء الفيض ولو مرة واحدة كل عام خير لنا من تركه سدى في البحر .

[للبحث بقية]

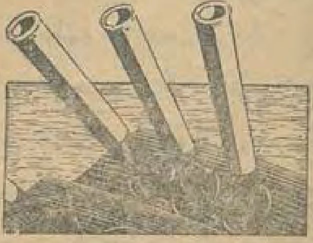

هل الثورة

II

حق من حقوق المجتمع ؟

— ٢ —

للأستاذ الياس يعقوب

في تاريخ الشرق العربي الحديث كثير من الانتفاضات الارتجالية التي ندعوها خطأً بالثورات . لانها لم تستكمل أسباب النشوء ولم تحقق الانسجام التام بين الأهداف التي تنشدها والوسائل التي أعدتها لتحقيق هذه الأهداف . وبكلمة وسائل أقصد الناحية المادية كما انني أقصد الجهة البشرية التي يجب أن تؤمن بضرورة الثورة وصحة أهدافها . وتعتنق مبادئها . وهذه الثورات جاءت إثر تململات حدثت من جراء وجود الأجنبي ، لا بناء على نظرة جديدة إلى الحياة ترمي إلى نسف المفاسد والمساوىء التي أورثتها عهود الانحطاط والاستبداد . انها كانت ضرباً من الفتنة التي تشب بسرعة ثم لا تلبث أن تخمد بسرعة . ومن خصائص الفتن أن تحدث دوياً وتحرز بعض النجاح في مبدإ الأمر عند انفجارها ، لكن هذا النجاح لا يستمر طويلاً ، بل يتحول إلى فشل في السياق الطويل . وطالما تصدم بعقبة كؤود ، أو يزول عنها الرأس ، أو يتعذر عليها النصر ، تتسرب الخيبة واليأس والتخاذل الى صفوفها . والتسرع في الشروع بأمر جليل قبل استيفاء الشروط يدل على نزق الشعب وبعده عن الأناة والصبر وغلبة الحماس على العقل والرصانة . أما الثورات الحقيقية التي تقوم على أسس فكرية ؛ وتسترشد بأضواء عقيدة واضحة ، لا تفت الهزيمة في عضدها ، وتتلقى من استشهاد قائدها ، ومن تراكم الضحايا عوناً لقوتها ومهمازاً لمضاعفة البذل والعطاء .

ويبدو لنا أن حظ الثورات الدامية قد أخذ يتضاءل على الرغم من الثورات العنيفة

التي حدثت في النصف الأول من هذا القرن ، مما يدل دلالة واضحة على انه لا يزال لدى الشعوب وضرة من الجرأة للانقضاض على الفئة الحاكمة أو المحافظة وانتزاع السلطة من يدها، والتخلص منها بشتى الطرق أو تغييرها لتتم لها حرية تحوير الأنظمة فيما بعد . وبدلاً من التفكير في الثورة والعمل بها لقلب الحكم ، بدأ الناس يميلون لترجيح فكرة الاصلاح، يقيناً منهم أن ما تأتي به الثورة الكاسحة الجارفة لا يتأصل في النفوس بسهولة ، وسرعان ما يتبدّل حالما تعود الأمور الى نصابها ويثوب العقل الى رشده . وان الاصلاحات التي تشفي هي التي لا تنفك تتأصل وتتراكم مع الزمن . ومن هذه الاصلاحات المستمرة تحدث الانقلابات الكبيرة بهدوء دون أن تهز كيان الانسان . والسبب الذي يدعو الى تحبيذ الانقلاب الذي يأتي عن طريق الاصلاح الدائم يعود الى تطور نفوذ الدولة ، وامتداد هذا النفوذ يشمل سائر وجوه النشاط البشري ، ومن جملتها مؤسسة الجيش وقوى الأمن الداخلي . وهكذا أصبح بوسع الدولة التي تسيطر على زمام الأمور أن تشل كل حركة تقوم بها الفئة المناوئة . فمبدأ تأميم المرافق الاقتصادية من جهة ، أو المبدأ الذي يخوّل الدولة حق امتلاك سائر وسائل الانتاج من جهة ثانية ، والسيطرة الكلية على الانتاج وتحديد نوعه وكميته والنصيب منه من جهة ثالثة ، جعل الدولة تقبض بقوة على النواحي الحيوية في البلاد . وبما أن التعليم يكاد يكون منوطاً بها وحدها ، ولها حق الاشراف على التعليم الخاص وفرض برامجها ، فقد أصبح بامكانها أن تصوغ العقلية التي تشاء ، وتكافح العقائد والمفاهيم التي لا ترضى عنها . وان في رقي أسباب المواصلات ما يساعدها على سرعة تدارك الأمور قبل استفحالها ، وفي السيطرة على محطات الاذاعة ووسائل النشر مما يجعلها تكيّف الحالة المعنوية وأعصاب الجمهور حسبما ترى وتريد . جميع هذه العوامل جعلت الثورة العنيفة متعذرة إن لم تكن مستحيلة . ولهذا بات علينا أن نبحث عن طراز جديد للثورة نبغي من ورائه بلوغ الاصلاح المنشود .

إن نماذج الثورات التي يضعها التاريخ أمامنا تولد فينا الانكماش ، لأنها ترسم على لوحة المخيلة صورة قاتمة للحالة السيئة التي يمكن أن تنشأ من جراء الاقتتال بين أبناء الوطن الواحد ، والبلد الواحد ، والأسرة الواحدة . والماضي ، كيفما كان ، لا ينبغي أن يسحق تحت عجلته قوة الابتكار فينا ويفقدنا مزية الاصالة . وليس خيراً أن نتبنى نظرة الغير لأنها لا تتفق إلا مع مصلحته ومرامي نفسيته فقط . ان حالات الشعوب لا تتماثل أبداً فكيف يتسنى لنا النجاح في اللجوء إلى وسائل لا تتفق مع الملابسات الخاصة بنا ، لأن

كل أمة تتأثر بمجموعة فذة في العوامل التي يساهم المحيط في توليدها ، وماضي الأمة ، والعقلية القومية التي تنشأ عن التفاعل مع البيئة ، وعن التأثر بالماضي . والثورة لا تعلن على سبيل الاحتذاء والتقليد ، بل ينبغي أن تأتي وليدة الضرورة ، وأن تكون الطريق إليها ممهدة ، والمسافة بين الداعي إلى الثورة والجمهور قريبة .

إذا لم يتمكن الانسان أن يثور لأسباب خارجة عن إرادته وقدرته فيتحتم عليه أن يكون مصلحاً . وان الاصلاح المستمر إذا استبعد حدوث الثورة بمفهومها المألوف فانه لا ينفي مبدأ الثورة التى ترمي إلى التحرر من الطغيان والمساوىء والرغبة الدائمة في التطور نحو الأفضل والأكمل . إن (قاسم أمين) لم يعلن ثورة جرت البلاد المصرية الى الاقتتال والتدمير ، أو يعاقب عليها القانون ، ويقسو التاريخ في الحكم عليها ، لكنه شاء أن يكون مصلحاً للأسرة المصرية عن طريق تحرير المرأة من عبودية الرجل والجهل والتقاليد . وان انتفاضة مصر عام ١٩١٩ لا تقارن ، لا من ناحية الأثر ولا من ناحية العمق ، بحركة قاسم أمين .

وعملية التطور يستحيل أن تظل مستمرة في سيرها . إنها كثيراً ما تتوقف هنا أو تتباطأ هناك تبعاً للعوامل المثبطة أو المعطلة . وتاريخ الانسان ، أينما كان ، مكوّن من عصور أخلد فيها إلى الاستقرار ، وعصور أخرى أخذ فيها يتطور . والانسانية شاهدت عصوراً كثيرة خيل لها أنها دائمة : كالأمبراطورية الرومانية ، والعصور الوسطى ومفاهيمها الدينية وأسسها الاقتصادية والاجتماعية والحقوقية والثورة الفرنسية ذاتها لم تكن سوى حلقة في سلسلة التطور . والمجتمعات الانسانية في الوقت الحاضر غنية جدًّا بالوسائل والأسباب التى تساعد على التطور وتنمي حركة الاصلاح . فاذا كان البارود والمطبعة استطاعا أن يقلبا أسس المجتمعات فيما مضى ، فما عسانا أن نقول في الأثر الذي تخلفه مخترعات هذا القرن ؟ !

إن الثورة التى تكون غايتها الاصلاح — لا الثورة فقط — لا ترى الحلّ الصحيح في الانقلابات السياسية التى تقتصر على إبادة الفئة الحاكمة أو تنحيتها وتتصف بالانتقام والفظاظة . لأن هـذا الضرب من الثورة لا يرشح إلاّ عن النفوس التى أعمتها شهوة الحكم وعجزت عن الاحاطة بالمشكلة القائمة وتشخيص الداء ووصف الدواء . وإذا كانت لا ترى الاصلاح منوطاً بجهاز الحكم فانها لا تؤمن ان الاصلاح الحقيقي يهبط من لدن السلطة ، بل انه رغبة تنبت وتنمو في نفوس الأفراد والهيئات . إن جهاز الحكم الفاسد

الذي نشكو منه هو التعبير الصحيح عن الفساد في صميم الشعب ، وهو منبثق عن هيئة اجتماعية متقهقرة في مفاهيمها ، منحطة في مناقبها . والسعي إلى إزالة هـذا الجهاز حقداً وانتقاماً دون الالتفات إلى تثقيف الشعب وترقية مفاهيمه وتهذيبها لا يجعل السواد بياضاً والمرض صحة . إنما يحقق الاصلاح حقـاً ، ويولـد نهضة في الأمة رسالة جديدة ذات مبادىء صحيحة وصريحة ، تضع الحلول للمشاكل التي يتخبط فيها الشعب ، وبقدر ما تهتم بمعالجـة المرافق المـادية ، تشتد في تعزيز المناقب والفضائل التي تسمو بالمجتمع . لأن أساس الارتقاء الانساني لا يكن فقط في رقي الوسائل المادية ، بل يجب أن يصحبه تقدم أخلاقي وفكري .

واذا كانت بعض المجتمعات تتخبط في سيرها على غير هدى فلأنها فقدت مزيتي الجرأة والابتكار . فعلى الحركة الجديدة أن تكون جريئـة على اجتثاث المفاسد ، لأن مهادنتها تجعلها تستفحل وتسود . ولا نقصد بالجرأة محاولة تجريد الانسان عن الماضي وسلخه عن تاريخه ، أو إمكان تجديد المجتمع كليـاً بقوة القانون من ضمن نظرة خاصة تفرضها السلطة بقوة الحديد والنار . بل نقصد القضاء بحزم على المساوىء التي تخالف معطيات العقل وتنافي المصلحة القومية . وينبغي أن نوقن أولاً أن الأوضاع الراهنة ليست حتمية أو أزلية ، وليست الفضيلة أن أصون أنظمة لا أثق بها . بل يتحتم عليّ ، كمواطن ، أن أدفع هـذه الأوضاع إلى الأمام لتصبح أفضل . ان روح المحـافظة تؤدي إلى الانحطاط ، والشعوب التي تسيرها هذه الروح لا تستطيع الصمود في حلبة الصراع العالمي لأن الحياة صراع . وفي حياتنا ينبغي أن نخرج من تجربة لندخل أخرى في سبيل تصحيح الأخطاء التي ترتكب ونسير في موكب التطور . ويليق بالانسان أن يحطم قوقعـة السكون والانفعال ، ليدخل نطاق الفعالية مسلحاً بالعقل والارادة .

والاصلاح لا يكون حقيقيـاً مالم يكن عامـاً وأساسيـاً . إنه لا يعالج ناحية واحدة فقط من حيـاة المجتمع بل سائر النواحي . وليس أخطر على حياة الأمم من النظرات الجزئية التي تقوم حتماً على فلسفة خاطئة . وهذه النظرات تعتقد أن اصلاح نظام ما ، يكفي لاصلاح الحياة بأسرها وتكييف الأخلاق والعواطف . فالمـادية التاريخيـة تظن ان في إصلاح النظام الاقتصادي – بانتزاع الملكية الخاصة وتحويلها إلى ملكية الدولة – ما يجعل الاصلاح يشمل جميع نواحي الحياة . ويرى البعض أن الشر يكمن في نظام الحـكم أو في الهيئة الحاكمة ، ولهذا يكفي أن نأتي بنظام جديد وحكومة جديدة حتى تستقيم الأمور .

إن حياة الانسان في سيرها المتصاعد تحتاج الى اصلاح شامل. والاصلاح لا يكون في معالجة الظواهر والنتائج بل في معالجة الاسباب والعلل التي نشأ عنها الفساد إن معالجة الظواهر سهلة لكنها ليست ناجعة، أما البحث عن الأسباب فانه شاق وطويل ولهذا لا يثمر الاصلاح الحقيقي بسرعة. وكثيراً ما يزهد الناس في النهضات الأصيلة التي تعالج جوهر الأمور وتتأخر في جني الثمار، ويؤيدون الحركات التي تثمر بسرعة وان كان في قيامها كل الخطر على حياة الأمة. إن الاصلاح الحقيقي يبدأ بالمواطن على اعتبار انه علة كل شيء. فكل سيئة يشكو منها المجتمع في أي حقل من حقوله ليست الا صورة منعكسة عما يكمن في نفوس الأفراد وهذه النظرة لا تسيء الى مقام الانسان بقدر ما ترفع من شأنه.

وليس من مهمة الحركة الجديدة أن تحطم القيود التي كانت تكبلنا في الماضي لتستعيض عنها بقيود جديدة تكون أشد وطأة على الجسم والفكر، بل يترتب عليها أن تحطم القيود وتزيل المضايقات على أنواعها. وفي كل مرة يتمخض المجتمع عن حركة جديدة يجب أن نبحث عن الحرية في منهاج الحركة. فاذا لم تأت في رأس القيم التي يجب الصراع من أجل تحقيقها والمحافظة عليها تحتم علينا مقاومة هذه الحركة والقضاء عليها. إن الحرية أسمى القيم ولا يوجد ما يبرر تعطيلها. والحكومات التي تفرض فترة من التضييق على حريات الانسان الأساسية — قد تطول أو تقصر — تعود بالشعب الى الجمود، وتسلبه ما كافح وجاهد للحصول عليه. إن الثورة لا تنشأ إلا عن الطغيان، مثلما يحصل الانفجار من جراء الضغط، لكن الاصلاح لا ينشأ إلا في ظل الحرية، ومن جهة أخرى فانه يرمي الى إقامة دعائم حرية الجميع. ونلاحظ أن الاصلاح في البيئة الحرة لا يصاحبه انفجار عنيف، بل يتمخض عن سلسلة لا تنقطع من التطور المستمر نحو الأفضل وفي هذا الجو المفعم بالحرية تقتصر مهمة الانسان على وضع البرامج للتخلص من المساوىء ودعوة الناس الى تحقيق حالة أسمى وليس في التنبيه إلى الحقوق والواجبات واعلان الفساد ما يعتبر تحريضاً وحضاً على الثورة العنيفة، وما لم نشد بنياننا على أساس من الحرية فان جميع المثل والعقائد تحتضر في ساحة الطغيان والظلم. وليست مشكلة واحدة تحل بالحرية، بل إن مشكلة الوجود الانساني بكامله لا نجد لها حلاً إلا من ظلال الحرية.

إن الثورات الكبرى الحقيقية هي التي انبثقت من الفكر الذي اعتنق عقيدة وحمل رسالة. والانقلابات التي يمكن أن تصمد في وجه الزمان وتغير وجه التاريخ هي التي لا تتناقض مع الطبيعة البشرية والتي تؤمن بها الشعوب والتي تنبعث تدريجيًا كلما أدركت قمة امتد بها النظر الى قمة أعلى، ووراء كل أفق تبصر آفاقاً جديدة أكثر اتساعاً وأبهى رواء.

II

الحياة السياسية

في صدر الدولة العباسية

— ٢ —

للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

وفي عهد المعتمد (٢٥٦ – ٢٧٩ هـ) اشتد الخلاف بين فرق الأتراك ، فطلبوا أن يكون القائد الأعلى للجيش أحد إخوة الخليفة ، وألا يرأسهم أحد منهم ، فولى المعتمد أخاه الموفق أمر الجيش والولايات عام ٢٥٧ هـ ، وبعد قليل أصبح السلطان الفعلى للموفق لا للمعتمد ، وصارت كلمته هي العليا على الأتراك وقوادهم ، فكبح غير قليل من جماحهم وأثر ذلك في حسن الأحوال قليلاً .

وسار المعتضد بن الموفق في خلافته (٢٧٩ – ٢٨٩هـ) سيرة أبيه ، فعمل على رفع شأن الخلافة ، والحد من نفوذ الأتراك بقدر ما استطاع ، ولم يحابهم على حساب القانون والعدالة ، فاقتص من تركي ارتكب معصية (١) ، وقتل قائداً تركياً قتل غلاماً له ومدحه ابن الرومي على ذلك (٢) ، وفي المعتضد يقول ابن المعتز من أرجوزته في تاريخه :

قام بأمر الملك لما ضاعا   وكان نهباً في الورى مشاعا
وكل يوم ملك مقتول   وخائف مروّع ذليل
وكل يوم شغب وغصب   وأنفس مقتولة وحرب

---

(١) راجع نشوار المحاضرة جزء ١ ص ١٥٢ (٢) ديوان ابن الرومي ص ٣٠٣

وكم فتاة خرجت من منزل   فغصبوها نفسها في المحفل
ويطلبون كل يوم رزقاً   يرونه ديناً لهم وحقا
كذاك حتى أفقروا الخلافة   وعودوها الرعب والمخافة

ومات المعتضد، فسار ابنه المكتفي (٢٨٩ — ٢٩٥ هـ) في خلافته بسيرة والده، من الحزم والعزم والأخذ على يد الأتراك .

وبعد وفاته ولى الأتراك أخاه المقتدر العرش بعده، وكان طفلاً صغيراً، وأيدوا عرشه ببطشهم وظل خليفة الى عام ٣٢٠ هـ

❖

وهكذا كانت أمور الدولة في العصر العباسي الثاني تسير في طريق بعيد عن المألوف وتتجمع كل سلطة ونفوذ في يد الأتراك، الذين لم يبالوا بشيء في سبيل أهوائهم وشهواتهم واعتدوا على قدسية الخلافة وجلال الخلفاء. وكانوا كثيراً ما ينهبون الدور، ويتعرضون للحرم والغلمان، فكرههم الناس كرهاً شديداً، وكان نفوذهم في الدولة جرحاً دامياً يؤلم كل عربي صميم، حتى هجا دعبل المتوفي ٢٤٦ هـ المعتصم لشدة تعصبه لهم :

لقد ضاع أمر الناس حيث يسوسهم   وصيف وأشناس وقد عظم الخطب
وهمك تركي عليه مهانة   فأنت له أم وأنت له أب

ويقول العلوي صاحب الزنج م ٢٧٠ هـ :

بني عمنا وليتم الترك أمرنا   ونحن قديماً أصلها وعمودها
فما بال عجم الترك تقسم فيئنا   ونحن لديها في البلاد شهودها
فأقسم لا ذقت القراح وإن أذق   فبالغة عيش أو يباد عميدها (١)

وقد قام الشعب بعدة ثورات، أهمها ثورة عام ٢٤٩ هـ التي اشترك فيها الجند الشاكرية، وقضى عليها الأتراك بعنف وقوة. وقد حاول بعض زعماء الأتراك التخفيف من حدة شعور الرأي العام وبغضه لهم، وقاموا بدعايات كثيرة، كان من أبرعها رسالة كتبها الجاحظ بإيحاء الفتح بن خاقان وحاول بها إيجاد جو من الثقة والتفاهم والألفة بين الأتراك وجمهور الشعب وقد قدمها الجاحظ الى الفتح؛ والظاهر أنه كتبها في أيام المعتصم، ولكنها

---

(١) زهر الاداب ج ١ ص ٣٣١

لم تصل إليه بفضل حاشيته من الفرس والعرب ، فأعاد كتابتها من جديد في عهد المتوكل، ودعا فيها إلى وحدة الاجناس والعناصر ، وأشاد فيها بالأتراك وبطولتهم الى حد بعيد (١) وهذه المحاولة وسواها من المحاولات قد فشلت جميعاً في الوصول الى الغرض المنشود.

وامتاز العصر الثاني بنفوذ الغلمان فيه ، وخاصة في آخره وعلى عهد المقتدر ، الذي كان عنده أحد عشر ألف خادم من الروم والسودان (٢) ؛ وتولى كثير من الخدم قيادة الجيوش وأهم الأعمال في الدولة ؛ كبدر غلام المعتضد ، الذي تولى قيادة الجند ، ونقش اسمه على الاعلام ، وأبلى في خدمة مولاه بلاء حسناً ، حتى قتل في سبيله عام ٢٨٩ هـ .

ونشطت النساء ، وكثر نفوذهن أيضاً في الدولة ، وكان معظم ذلك في عهد المقتدر لتسلط الخدم والحجاب .

وفي ظلال هذه الفرضى السياسية ، استقلت كثير من البلاد عن خلفاء بغداد ، وأهم هذه الدول المستقلة : الدولة الطولونية بمصر (٢٥٤ — ٢٩٢ هـ) وهي تركية ، والدولة الأخشيدية بمصر (٣٣٢ — ٣٥٣ هـ) ، وهي تركية أيضاً ، والدولة الطاهرية بخراسان (٢٠٥ — ٢٥٩ هـ) وهي فارسية ، والدولة السامانية في ماوراء النهر (٢٦١ — ٣٨٩ هـ) وهي فارسية أيضاً ، والدولة الصفارية بفارس (٢٥٤ — ٢٩٠ هـ) ، والدولة الدلفية بكردستان (٢١٠ — ٢٨٥ هـ) وهي عربية ، والدولة العلوية بطبرستان (٢٥٠ — ٣١٦ هـ)

كما حفل العصر العباسي الثاني بكثرة ثورات العلويين وخروجهم على الخلافة ، مما نجد أخباره ونتائجه في مقاتل الطالبيين ، وسبب ذلك راجع الى اضطهادهم واضطهاد شيعتهم .

فقد كثر اضطهاد الشيعة في هذه الفترة الحافلة ، وأسرف في ذلك المتوكل على الله ، فانه لما تولى الخلافة اضطهد الشيعة ، وشدد النكير عليهم ، وصادر أموال العلويين وشيعتهم ، وغالى في تشريدهم ، وأمر في عام ٢٣٧ هـ بهدم قبر الحسين بكربلاء (٣) .

وكان الرشيد يقتل أولاد فاطمة وشيعتهم (٤) ، من حيث كان المأمون يرعى العلويين.

---

(١) راجع رسالة الجاحظ في مناقب الترك وهي في أول رسائل الجاحظ

(٢) راجع التمدن ج ٤ ص ١٧٥ ، وآداب اللغة لزيدان ج ٢ ص ١٥٤

(٣) ٢٨٩ ج٣ محاضرات في تاريخ الامم الاسلامية للخضري بك ، ١٩٦ ج ٧ وما بعدها ابن الاثير

(٤) العقد ج ١ ص ٢٤٩

ولا يؤذي أحداً منهم (١) .

وكان المتوكل يبغض المأمون والمعتصم والواثق لحبهم لعلي (٢) ، وكان شديد البغض لعلي وأهل بيته ، وذلك راجع لموضع دولته من الترك ولسلطان الأتراك في الدولة ، وتاريخ الأتراك مملوء بكرههم للتشيع والشيعة ، وبالحروب المتصلة بينهم وهم سنيون وبين الفرس وهم شيعة . وبذهاب الشيعة ونفوذهم من بغداد ذهب نفوذ الفرس منها ، وغلبت السنة على الدولة من ذلك الحين.

وسرت في الدولة بعد المتوكل موجة اضطهاد العلويين والشيعة ، فالمنتصر كان يقاوم العلويين كأبيه (٣) ، وتذكر بعض المصادر أنه أراد أن يحسن صلته بالبيت العلوي ولكن لم تطل مدته (٤) .

ولكن عهد المعتضد كان عهد خير على العلويين ، فانه لم يتعرض في أيامه لهم ولا آذاهم ولا قتل منهم أحداً (٥) .

وكان البعض يشفع على آل أبي طالب عند المكتفي فنهاهم عنه (٦) . وعلى الجملة فان أغلب هذا العهد كان عهد محنة واضطهاد للعلويين ومن والاهم .

◆

هذه هي أهم المظاهر السياسية والأحداث الكبرى في هذا العصر ؛ ولا شك أن لهذه الجوانب السياسية أثرها فى المجتمع وفي الثقافة والأدب والشعر ، مما سنفصل الكلام فيه في البحوث التالية ؟

---

(١) راجع مناظرة المأمون للفقهاء في تفضيل علي ص (٢٧٩ — ٢٨٦ ج ٣ العقد)

(٢) ظهر الاسلام ص ٤١ ج ١

(٣) الادارة الاسلامية لكردعلي ط ١٩٣٤ ص ١٧٣

(٤) ظهر الاسلام ص ٤٤ ج ١

(٥) الفرج بعد الشدة ص ١٣٣ ج ١

(٦) الاغاني ص ١٤٣ ج ٩

من كتاب كليلة ودمنة

الكلب المخدوع

للأستاذ رضوان ابراهيم مصطفى

قال كليلة وهو يبصّر دمنة بشئون الحياة ، ويفتح عينيه على عجائبها ، ويستقبل به من شئونها ما خفي عليه ، ويوقظ فيه الوعي ، ويدرّب منه العقل على التفكير ، والرأي على التدبير : —

واعلم يا دمنة أن الحكيم جلت قدرته قد زوّد كل حيوان — في مملكتنا هذه — بغريزة ، هي سر بقائه وحفظ كيانه ، وهو بها ما هو ، وبدونها ليس هو ، وليس بشيء آخر غير ما هو ! !

فاذا تخلى عنها أو تخلّت عنه خرج من دائرة الحيوانية الى دائرة أخرى ، وربما كانت دائرة الجماد — بيد أنه متحرك ! !

ومملكتنا هذه — لكي تتيسر لها أسباب البقاء — لا بد أن تتحفز كل الغرائز المودعة في أفرادها لحياطتها وحمايتها ؛ فالفرد مفتقر إلى غريزته الخاصة ، يعيش بها ويهتدي بضيائها ، ويكيف حياته كيف وجهته ، وكيف سلحته بأساليبها لتذليل صعاب هذه الحياة .

والجماعة محتاجة إلى مجموعة الغرائز الفردية ، لتتجمع منها أساليب السلوك الجماعي ، لاحتفاظها بكيانها كتلة متماسكة متساندة في دفع الشر ، متعاونة في استجلاب الخير .

أما اذا اطرح كل منا غرائزه ، فأننا نصبح أشبه ما نكون بمملكة الهوام التي تتخبط على غير ضياء ، وتجري أمورها على غير ناموس — فيما نحسب .

قال كليلة : وأنت يادمنة فاحذر أن تخدع عن غريزتك ، أو تتهاون في الاعتصام بها لحظة ، فأنه لا أحد أضيع ممن ينزلق إلى ذلك ، ولو هيء له أن يصبح ملك الحيوان المتسلط على المصائر ، المتصرف في الأمور تصرفاً مطلقاً غير مقيد ولا محدود ؛ إذ هي التي تحفظ عليك الحياة ، وتمنحك القدرة على مجالدة عوادي الأيام وبأسائها ، وعلى مناهدة الغرائز المعتدية في المخلوقات الأخر .

فأذا تحللت منها ضعت في الغمار ، فجرفك التيار ، فلم تستطع الاحتفاظ بالكرامة ، إن احتفظت بك الحياة !!

ونصيحتي إليك — يا دمنة — أن تكون من عدوك على حذر أبد ؛ لا تأمنه ولو ضعف ، ولا تطمئن إليه وإن قرب ، ولا تغفل عنه مهما بعد !!

فأن فاجأك منه شر كنت على يقظة وتحفز ، فما خسرت شيئاً .

وقد قالت الحكماء : لا يؤمننك من عدوك ثغر ضاحك ، ولا خير طارىء ، ولا لين مصطنع ، ولا خدعة مزورة .

وقالوا : اخش العدو حتى كأنك تتوقع منه كل الشر في كل طرفة عين ، وكل خلجة نفس ، واستبسل في حربه مهما عنف ؛ فأن حذرك يضاعف قواك حتى تنقصف عليها سهام غدره .

وقالوا : « من الحكمة أن ينظر المرء فيما يؤثره من الأمر ، فيضع الخوف والرجاء فيه موضعه، فلا يجعل اتقاءه في غير المخوف ، ولا رجاءه في غير المدرك .. وطالب الفضل بغير بصر تائه حيران . وأشد الفاقة عدم التعقل.

وإياك يادمنة أن تأمن مكر عدوك أو تخدع عن حقيقته ، وإلا وقعت في شراكه فغدوت فريسة له ، وكانت عاقبتك عاقبة الكلب المخدوع الذي غرّه دهاء العدو ، فلم يحفل بقول العلماء : « الحازم لا يأمن عدوه على كل حال ؛ إن كان بعيداً لم يأمن معاودته ، وإن كان قريباً لم يأمن مواثبته ، فأن رآه متكشفاً لم يأمن استطراده وكمينه ، وإن رآه وحيداً لم يأمن مكره » .

قال دمنة : وما عاقبة الكلب المخدوع ؟

قال كليلة : زعموا أن جماعة من الذئاب النهمة سطت ليلاً على حظيرة كبيرة من حظائر الغنم ، فأعملت فيها مخالبها وأنيابها ، تمزيقاً في اللحم ، وولوغاً في الدماء ، وفتكاً بالأرواح البريئة الهاجمة الوادعة ، وهتكاً لستار الليل الهادىء الساجي .

فلما أحس بها الكلب الحارس ، وفاجأه الثغاء المذعور يشق حجاب الظلام ، ويزلزل أرجاء الحظيرة ، ويزعج بأنغامه الحزينة سكينة السحر ، ويعلن بنواحه المفجع مصرع السلام في أمة الغنم — قام من رقاده مفزعاً ينبحها ، ويتحفز بها ، ويطاردها حتى أوشكت جماعة الذئاب أن تولى الأدبار ، لولا ذئب عجوز عركته التجارب وضرّس أضراسه حصرم الدهر ، ففكر وقدر ، وكان ذا حكمة وحنكة ، ودهاء وحيلة ، ولم يطل به الفكر ، حتى اهتدى إلى مفتاح المعضلة المحتدمة ، ففض أغلاقها ، وكأنما صبّ على ضرام الكلب المستعر جرة ماء أخمدته وطمرته في حمأة من الطين الأسود ! !

قالوا : وانعطف الذئب الأريب إلى الكلب الثائر ، فتلقاه قائماً بين يديه ، متظاهراً بالخضوع المتزلف ، قائلاً : —

كيف تلقانا هذه اللقيا يا سيد الكلاب ؟ ونحن ما جئنا إلاّ لنخطب ودك ونضع بين يديك طاعتنا ، ونحمل إليك ولاء زعيمنا السرحان المهيب ، ونعلن في ساحتك إخلاص أمة الذئاب ، فقد سمع كبيرنا أنك زعيم الكلاب في هذه الديار ، فشرفنا بالسفارة إليك حاملين — باسمه — فروض الولاء ، وعواطف الصداقة ، والرجاء الآمل في أن تنال أمة الذئاب في رحابكم أمنها وطمأنينتها ، وأن تزول أسباب الجفاء التقليدي الذي وصمت به أمة الذئاب وأمة الكلاب على السواء ، وان تبدّد هذه الأحقاد التي توارثها القبيلان جيلاً بعد جيل ، من غير أن يدري أحد مأتاها ولا مذاهبها ، وان تقوم بيننا الصداقة الأكيدة ، والتآلف الدائم لخير الطائفتين .

ولقد بحث العلماء في مملكتناء ونقبوا واستقصوا . فلم يجدوا في الكتب - قديمها وحديثها — ما يبرّر هذا العداء ، بل — على النقيض من ذلك — اهتدوا إلى اننا أبناء فصيلتين متقاربتين — إن لم نقل : أبناء فصيلة واحدة !

ومنتهى ما وصلوا إليه من أسباب ظنية انه خصام استحدثته ملابسات حياتنا

وحيانكم منذ أنستم أنتم الى بني الانسان وظللنا نحن في وحشيتنا وجهالتنا ، واتصلت بينكم الأسباب ، فاستدر الانسان عطفكم وحدبكم على أمة الغنم التي زعم أننا أعداؤها وما كان لهذه الأمة التافهة أن تحول بين صداقتنا ، ولكننا لن نتوانى - في سبيل احتفاظنا بود سيدنا زعيم الكلاب — أن نقدم له ما يرضيه بشأنها ، وقد أمرني أمير الذئاب أن أوكد لزعامتكم محافظتنا على أمة الغنم المشمولة بحمايتكم ، وتوفير الأمان لها اثباتاً لحسن مقاصدنا وخلوص طوايانا ، ونقاء سرائرنا .

وقد رأى زعيمنا اللبق أن من الكياسة والحكمة أن نمهر هذه الصداقة الجديدة بهدية ثمينة لائقة بمقامكم السامي ، ومنزلتكم الرفيعة في أمة الكلاب ، فحمّلنا اليك كومة كبيرة من العظام ، أوينا بها الى هذه الحظيرة مقر عرش سيدنا الهمام ، حتى يؤذن لنا بشرف المثول بين يدي مولانا ، وها نحن أولاء مقدموها في تواضع وخشوع وضراعة ملتمسين شرف القبول للهدية المتواضعة التي يرفع من قدرها حسن رضاكم عنها وجميل استقبالكم لها ، وقد قال حكيم الشعراء : ان الهدايا على مقدار مهديها !

وسمع الكلب هذا الثناء فابتهج ، ولمعت عيناه ببريق الخيلاء ، وانتفخت أوداجه ، واشرأبت معاطسه ، وصرت أذناه ، واهتز ذيله طرباً ، وأقعى على مؤخرته تيهاً وكبرياء ، ورق نباحه ورق ، حتى استحال أنغاماً من الترحيب والتودد ، لا يقطعها إلاّ اللعاب المتدفق غزيراً من جميع أنحاء فمه القرم ، وتخلت عنه كلبيته جملة حينما ألقى اليه الذئاب بعظام فرائسها من الأغنام الشهيدة .

فاستلذ واستساغ ، وظن - لفرط البلاهة - أن هذه الهدايا من أفخر ما تذخر به بلاد الذئاب لا من أشلاء حظيرته المنكوبة ومنى نفسه بالعظام الشهية التي ستمد له على سماط الصداقة الجديدة المباركة بلا انقطاع .

وبسط ذراعيه يأكل ، وخياله يسبح في جو من العظام الهائلة التي ستغدقها عليه المحالفة السعيدة التي ساقتها اليه السماء ويقفز به الخيال الجميل الى السيادة المطلقة على رعاياه المحدثين من أمة الذئاب التي أتته صاغرة تنشد سيادته ، وتبغي الخضوع لعزة جلاله المطلق .

وانهمك في عرق العظام والتهام ما عليها من نفايات الذئاب ! وأمعنت الذئاب في إلهائه واستغفاله واستغلاله وخديعته ، وانبعثت - في غفلته ولهوه - إلى بقية الحظيرة تعمل فيها أنيابها ومخالبها بقوة أمتى وأعنف وأشد ، وعاد الثغاء المستغيث الباكي أعلى مما كان

وأشد ايلاماً. وأجلب للشفقة والرثاء ولكن الذئاب تستبد وتضري ، ولكن الكلب النهم تزوغ عيناه فيما يلقى اليه بين الحين والحين من فضلات الذئاب ، فيترك هذه ليقع على تلك ويلقي بساق ليلتقط ضلعاً ، ويرمي كتفاً ليختطف رأساً .. وهكذا .. حتى أتخم .

وفزعت الذئاب حين سمعت صوته مستطيلاً ، وحسبت أنه ثاب إلى رشده ، وتوقعت منه الشر ، ولكنها اطمأنت لما علمت انه كان يتثاءب ، ثم . ثم نام ! ولم يعد يعد ثغاء الشاء الاّ أحلاماً سعيدة تتردد من بعيد في مسامعه ، وكأنها هتاف الرعايا ، وأناشيد الوفود الوافدة بالولاء والهدايا وكومات العظام !!

وكذلك شغل الكلب عن مهمته بالعظام والأحلام ، حتى أتت الذئاب على ما في الحظيرة من شاء ، فلم تبق فيها سمينة ولا عجفاء !

وخرجت جماعة الذئاب تلعق شفاهها ، مرحة ضاحكة من حمق الكلب ، تهتف لصاحب الحيلة ، وتسخر من صاحب الغفلة ، وتقهقه ملء أشداقها فيتردد الصدى هزيماً في مسامع الكلب النائم المثقل ، فيتخيله دعاء الولاء والبركات ، ويتسمعه وكأنه اصطكاك العظام الفاخرة المتراكمة المحمولة من بلاد الذئاب مع الوفود الوافدة بالولاء والهدايا وكومات العظام . ولم يوقظه من أحلامه الخصبة في الصباح إلا عصا الراعي المغيظة ، تصك منه الضلوع تقضقضها ، وتنفذ إلى موضع القلب منها ، فتهتك حجابه وتمزق احشاءه ، فلا تترك له فرصة من الدنيا الاّ ريثما يفتح عينيه على الحظيرة فيجدها خواء .. الاّ بقايا من الأصواف المتناثرة ، والدماء المطلولة ، والقرون الدامية ، والأظلاف المبعثرة !

وإلاّ ريثما يعوي عوة نادمة نادبة ، يخرج معها آخر أنسام الحياة !

فهذا جزاء من يخدع عن نفسه ، ويأمن عدوه ، ويتورط ببلاهته وحمقه في المهالك .

قال دمنة : حقاً ، إن الحذر من العدو إيثار للعافية ، وطريق إلى السلامة ، والعاقل من وُعظ بغيره !!

غرائب طبائع الحشرات

الحشرات التي تعيش على الماء « الجاف »

للاستاذ امين عبده

قد يبدو هذا التعبير غريباً على السمع وقد لا يصدق البعض بأن الابرة اذا وضعت على سطح قدح مملوء بالماء فانها تطفو على وجهه. ولكنها حقيقة لا ريب فيها. فلو أمسكت الابرة من وسطها بين السبابة والابهام في وضع أفقي تماماً. ثم أدنيت من سطح الماء واستقرت عليه برفق فانها تطفو فوقه بغير أن تبتل. وتبقى على هذا الوضع طالما ظل القدح بمنأى من الحركة والاهتزاز. وهذا ما يبعث على التصديق بأن للماء سطحاً جافاً. إن صح هذا التعبير.

وعلى هذا فان عدداً كبيراً من الحيوانات والحشرات المختلفة يتوقف أمر بقائها أو فنائها على ما للماء من بلل وجفاف لأن عدداً كبيراً من تلك الكائنات الحية تعيش فوق هذا السطح الجاف ولو أنه غير مستقر. يعلوها الهواء من فوق وأعماق الماء من أسفل. وتحتل وهي في هذا الوضع سطوح مياه البرك وجداول الماء والبحيرات حتى مياه المحيطات.

ويعتمد معظم تلك الأحياء في السير على الماء على ما لأرجلها من زغب شمعي يقاوم البلل. وأوسع تلك الحشرات شهرة هي الحشرة « واسعة الخطى » ذات الأرجل الأربعة الجانبية والاثنتين المتدليتين مما يلي رأسها من أسفل. فان أرجل هذه الحشرة مغطاة بزغب مغشى بطبقة دهنية لا يقوى الماء على أن يتخللها. وهي في أثناء سيرها تضغط على سطح الماء فيتمدد وينخفض تحت أقدامها. وهذا التمدد هو العامل على حملها. وثمة عامل آخر هو ضرورة بقاء سطح الماء في مستوى أفقي واحد.

وتستعمل الحشرة ذات الخطى الواسعة أرجلها الأربعة الاماميتين والخلفيتين لحفظ توازن جسمها فوق السطح الأملس للماء بينما، تقوم الرجلان الوسطيان بوظيفة مجدافين للسباحة. وبذا تصبح في أمان سواء أ كانت فوق ماء ساكن أم جار. كثيراً ما تتربص لبعض الذباب فتقتنصه.

ومما يستدعي النظر حقًا مشاهدة الحشرة وقتما تقوم بتنظيف جسمها. فهي تنحي رجليها المجدفتين وتخفض رأسها حتى لتكاد تلمس الماء، ثم ترفع الرجلين الخلفيتين وتفرك بعضهما ببعض على نحو ما تفعل الذبابة. وبعد ذلك تتركز بجسمها على الرجلين الأماميتين وعلى أخرى خلفية وتقوم الرجل الوسطى مقام حبل السفينة. ثم تعمل كل من الرجل الخلفية والوسطى من الجهة المقابلة على تخليص الجسم من الأوساخ بحركة أمامية وخلفية. وبعد ذلك تعتمد بجسمها على الرجلين الوسطيين والخلفيتين، وترتفع بالجزء الأمامي من جسمها مع الرجلين الأماميتين وتم عملية التنظيف.

❖

أما الحشرة البقية فلكي تقوم بمثل هذا العمل فانها ترقد على جنبها فوق الماء وتقوم أرجلها بعملية التنظيف بسهولة تامة. وهكذا تعيش الحشرات على سطح الماء معتمدة على أرجلها الممتدة من الناحيتين نحو الخارج.

وتعتمد الحشرات المختلفة في غذائها على ما يتساقط من الجو على الماء فتبادر لالتقاطه.

أما في وقت هطول الأمطار شتاء فان الحشرات ذوات الخطى الواسعة تزحف مسرعة نحو الشاطىء وبالرغم مما حبتها الطبيعة به من المناعة فقد يصيبها البلل أحياناً. ومع قدرتها على مغالبة التيار فقد يسقط بعض البق المائي في الماء. وعندئذ يجدّف حتى يبلغ الأرض ليجف ثم يستعيد نشاطه.

وثمة نوع آخر من الحشرات صغير الحجم سنجابي اللون يقتحم البحار. وانه ليرى أحياناً على مسافات كبيرة من الشاطىء راكباً بعض أوراق الشجر كأمهر الملاحين. غير أنا نجهل ما يصيبها اذا أدركها المطر أو لعبث بها الأنواء. كثيرا ما تسبح تحت سطح الماء طلباً للغذاء فاذا ما أصابت منه شيئاً انقلبت بجسمها لالتقاطه. ويعيش الكثير منها ويتوالد وهو على بعد مئات الأميال من الشاطىء. وتلقي تلك الحشرات ببيضها فوق بعض الحشائش البحرية التي تصادفها. أو على الريش الساقط على وجه المياه من

الطيور البحرية .

وللعناكب البحرية والعث نفس وسائل الوقاية وأساليب المعيشة التي للحشرات ذوات الخطى الواسعة الآنفة الذكر . وكثير من أناثها تضع بيضها في داخل كرة هلامية ملساء نمل على سحبها وراءها أينما ذهبت حتى الى خارج المـاء . ويتخذ نوع منها وهو المسمى «دولوميدا» Dolomeda نفس الطريقة . وهي التي يبلغ مدى الانفراج ما بين أطراف سيقانها في الأنثى الكاملة النمو نحواً من بوصتين أو يزيد .

وأشهر أنواع عث الماء نوع ذو جسم كري زغبي كالقطيفة ولونه أحمر لامع يبلغ قطره نحو ربع البوصة . يجري على الماء بأرجله الثمانية القصيرة في سهولة ويسر حتى ليكاد الرائي يحسبه يزلق على الماء ، وغالباً ما يغوص في الماء مستعيناً ببعض النباتات البحرية .

وتستطيع بعض الحشرات المائيـة القفز فضلاً عن السير فوق سطح المـاء . وثمـة سنف منها له أرجل كأرجل الجراد تعينها على القفز . ولذنبها الطويل الشبيه بالبرغى (الزنبرك) في حركته خاصية فذة في الانسجام أثناء القفز . وهي غريبـة في مظهرها بين وائف الحشرات وبعضها يثني ذيله تحت جسمه ويستقر فوق الماء غالباً على أرجله الستة قصيرة والتي تمتد فجأة الى الخارج لدى الرغبة في القفز .

ومنها نوع يستطيع بطرف ذنبه المنحني تحته اصطياد حشرة ما بحركة خاصة حيث نقض على الفريسة انقضاض الفخ على الفأر — وله بأسفل الذنب المذكور وبقرب عضلة به أنبوب يعين العضو على تأدية وظيفته . وهذا الأنبوب اذا بلل بالماء اتخذته الحشرة رساة لها .

◆

وتعيش تحت سطح المـاء من الـكائنات الحيـة سلالات تدعو الى العجب . فقد اهد بين الفينة والفينة قوقعـة وقد تسلقت ساق أحد النباتات البحرية وطفت فوق طح، ثم تقوم بحركة التفاف على نفسها وتعود غائصة الى جوف المـاء حاملة قدراً من واء بداخل غلافها لكي تتنفس القواقع التي في القاع منه .

وفي المياه القليلة الغور يوجد نوع من الحيوانات يشبه قواقع البرك إلا أنه أصغر راً وجسمه مسطح جداً ويغلب على الظن أنه من فصيلة الديدان . ولهذا الحيوان على ظهر عدة عيون تبدو في وضع متقاطع على ظهره المرقط . ولذا فهو أبداً موضع

تعجب اطلبة علم الحياة . ويرى دائماً في معاملهم لدراسة طبيعته . — وهو ذو تكوين بدائي جداً فاذا فُصل جزء من جسمه فصلاً تاماً وترك لشأنه نما وتكون منه حيوان كامل .

وثمة حيوان آخر قابل للتجدد بصورة واضحة يسمى « هيدرا » Hydra والذي سماه بهذا الاسم رجل اكتشف فيه ظاهرة عجيبة ؛ هي أنه فصلت رأسه عن جسمه وترك شأنه لتجدد له رأس آخر . والذي أوحى إليه بهذه التسمية هي الأسطورة اليونانية القديمة عن الحيوان الضخم ذي الرؤوس المتعددة المسمى « بالهيدرا » .

ويشبه هذا الحيوان في مظهره المظلة المنشورة وهي بغير قماش — فهو عبارة عن ساق ذي قدم مفرطحة وأذرع طويلة ، والأذرع هي أعضاء الحس له ، وبأطرافها نقر أو تجاويف لاقتناص الأحياء المكروسكوبية التي يعيش عليها . وترى بين الأذرع المذكورة فتحة في جسمه تمتد الى الداخل ، وكثيراً ما يشاهد عالقاً بقدمه بداخل السطح الجاف للماء متشبثاً بمادة يأتي بها من أسفل وينشرها على السطح وهي مقاومة للماء فتقصيه من محيطها وتظل طافية فيتعلق بها .

ويقوم غذاؤه على حيوانات قشرية لها ولع غريب بالتشبث بباطن الطبقة السطحية للماء واحدها المعروف باسم « اسكافوليبيرس » له شعر خشن شائك به يتعلق بقرونه الطويلة وهو يتغذى أيضاً بعشب البحر القائم من أسفل كذا بمادة التلقيح العائمة في الماء وغيرها مما هو سابح تحت سطح الماء كما يتغذى أيضاً بنوع من الحيوانات القشرية المسماة « بوسمينا » اذ تقع في شركه أثناء محاولتها اجتياز سطح الماء .

وتحتاج الحشرات الكثيرة المتنوعة التي تعيش في البرك وجداول المياه الى استنشاق الهواء ، فنها ما يصل الى سطح الماء وينفذ خلاله بأنبوب خاص لتفريغ الهواء المختزن تحت أجنحتها أو في قصبة التنفس واستبداله بهواء جديد ، وبعضها له شبه عضو دقيق يتمدد وينفذ من هذا السطح وبه يواصل التنفس بينما هو يواصل التنقيب في الحمأة عن الغذاء .

ومن عجائب المخلوقات خنفساء الماء وتسمى بالدوارة . تعيش الجانب الأكبر من عمرها في البرك فوق سطح الماء . ولظهرها طبقة دهنية لا يؤثر فيها الماء ، وهي حشرة مزدوجة أي نصفها الأعلى جاف والنصف الأسفل مبلل بالماء . حتى أن عينيها منقسمتين الى شقين . فبالشق الأعلى ترى ما فوق سطح الماء . وبالشق الأسفل تشاهد ما يجري

تحته . وهي تستخدم أقدامها كمجاذيف .

والسطح الجاف للماء هو حد فاصل للحشرات التي تبيض في المـاء . كما أنه يهيء مجالاً لا آخر له من مختلف الحلول والتأويلات لمسألة ممـا يقع تحت الحس . وقد يكون من أيسرها أمر تلك الحشرة المـائية المسماه بخنفساء ورقة السوسن . فهي تقف على ظهر الورقة وتثقب فيها ثقباً يتسع لأن تدلّـى الجزء البارز من بطنها نحو الماء وهي آمنة مطمئنة ونضع صفين من البيض في الماء .

وبعض الحشرات عندما تكون الواحدة منها على وشك أن تبيض فانها تطوي جناحيها حول جسمها كالعباءة محتفظة بفقاعة من الهواء ثم تزحف فوق بعض النباتات وتنحدر الى أعماق المـاء لتضع بيضها ، ثم تعود قافلة اذا أتيح لها النجاة من عدوان الحشرات الأخرى عليها .

لو ألقيت قطعة من الـكافور في طبق مملوء بالمـاء فانها تدور حول نفسها وتتحرك حركات مضطربة وكأنها مدفوعة بقوة خفية . وحقيقـة الأمر أن قطعة الكافور في حركتها تذوب في الماء المجاورة لها مباشرة وبذا تضعف فيه قوة الجذب كثيراً فتجذب نحو المـاء الذي لم يتأثر بذوب الـكافور فيه . وبعبارة أخرى أن الباعث لها على الحركة هو عدم التكافوء بين سطح الماء المحتوي على ذوب الـكافور وبين المـاء الخالص الذي ما زال محتفظاً بخصائصه الطبيعية .

وقد توسلت بعض الخنافس الجوّالة المسماة « ستيناس » Stenus في تنقلاتها بمثل تلك الوسيلة . وهي نوع صغير نشط وليس لأقدامها شعر شمعي يقيها البلل فاذا سقطت احداها في بركة ماء أو نحوها فانها تستعين على السباحة في الماء بأن تفرز مادة من شأنها أن تؤثر تأثير الكافور المذاب في المـاء . وهـذا الافراز تفرزه هي من خلف بينما يكون المـاء من أمامها باقياً على حالته الطبيعية فيسحبها الى الأمام وتوالي السباحة على هـذا النحو بغير بذل مجهود ملحوظ ما دامت دائبة على افراز تلك المادة .

(مترجمة عن مجلة « ساينس دايجست » الانجليزية)

الى روح أمي

الظل المنحسر

للأستاذ حسن كامل الصيرفي

ذهبَ الظلُّ الذي كان هنا   نعمةً من رحمة الله بنا
ذهبَ الظلُّ وعمري لم يزلْ   ظاعناً يشكو الصدَى والوهنا
طاوياً في كل يومٍ رحلةً   تنشرُ الغيبَ وتطوي الزمنا
الوداع المرُّ أسقاهُ بها   وأنا أقتاتُ منها الحزَنا
كم عزيزٍ في ثناياها مضى   كان دمعي غُسلَه والكفنا
الصحارى الصُّفرُ حولى قصةٌ   أنا أدري منتهاها المُحزنا
مدَّ راويها مداها ، ولقد   أرهقَ النفسَ وأوهى الأُذُنا
ملَّها السُّمَّار حتى انتبهوا   ونداء الفجر فيهم أُعلِنا ...
ما مسيري في طريقٍ عبرتْ   تربةٌ قبلي دهورٌ ودُنى !
فَنيتْ من قبل أنْ تدركه   وخبا في ليلها كلٌّ منا
أنظرُ الأشباح فيه ذرَّةً   من هباء في فضاء شُحنا
لستُ أجني من ثراه ثمراً   غير كدٍّ وشجونٍ وضنى
رحلتي طالت ، وطالت غربتي   فمتى يا روح ألقى الوطنا ؟ !

◎

كان لى ظلٌّ اذا اشتدَّ اللظى   أوت الروحُ اليه فحنا ....
كان لى ظلٌّ اذا امتد الدجى   وجد القلبُ لديه المأمنا
كان لى ظلٌّ إذا عاصفةٌ   زمجرتْ أسمعني لحن المُنى
كان لى ظلٌّ إذا اليأس طغى   ردَّني بعد ضلالي مؤمنا

ذهبَ الظلُّ فلا مأوى هنا   لغريبٍ ليس يدري السَّكنَا
الهجيرُ المستبدُّ استعرت   نارُه تشوي وهبّتْ ألسُنا
وأنا تلفحُني النارُ ولا   أجدُ الظلَّ الذي كان هنا
حائرَ الطرفِ أداري حيرتي   بالسكون الجهم حتى تسكنا
وأرى موكبَ ليلي زاحفاً   أسودَ الجبهة يطوي الحزَنا
قاسياً يقصف في خطوته   كلَّ عودٍ كان مأمول الجنى
موحشاً تزحف في ظلمته   أرجلُ الوهم غلاظاً خُشُنا
عابساً أوشك من سحنته   أن أراه ناقماً مضطجعا
غارت الأنجمُ إلاّ خادعاً   حيّر العقلَ وأعشى الأعينا

◎

عبدَ الناسُ حياةً ضلّةً   وأنا أجحد هذا الوَثَنا
حيرةٌ طالت على أصحابها   كلُّ من فيها ينادي: منْ أنا؟
ذهبَ الآملُ فيها يائساً   وذوى المأمولُ فيها وانحنى
يهدم اليومُ، وفي سخرية،   ما أقام الأمسُ فيها وبنى

◎

ذهبَ الظل، ولمّا أسترحْ   من عناء السير إلاّ موهنا
ذهبَ الظلُّ الى بارئهِ   فقضتْ أمي وودّعتُ المُنى
جنّتي كانت ولكن ذهبتْ   من أمامي مثلما يخبو السنا
لم تكن إلاّ جفوناً أغمضت   ورؤى قرّت، وروحاً سكنا
ثروةً كانت... وما أغبنني   في تراب الأرض واريتُ الغنى!
لمْ يعدْ أغنَ عندي من ترى   دُفنت فيه أحبّائي هنا

تصويب: كلمة «ثروة» صحتها «ثريه» و «مضطجعا» صحتها «مضطجعنا» و «ترى» صحتها «ثرى»

الزراعة

في أندونيسيا

— ٤ —

للأستاذ احمد طه السنوسي

وزراعة القطن في أندونيسيا لها مستقبل باهر إذا زادت العناية وعمت الروح الاقتصادية واتجه الاهتمام إليها ، ولعل أهم نوع من القطن هناك نوع ذو تيلة قصيرة يدعى (كابوك Kapok) وانتاج اندونيسيا من هذا الكابوك يعادل نحو ثلاثة أرباع المحصول العالمي منه ، ولا تتعاكس الأرض الأندونيسية أو المناخ الأندونيسي مع زراعة الجيد من القطن .

ويقول الأستاذ ابراهيم عثمان في كتابه (بعثة زراعية الى جاوه وسنغافورة وسيلان) عن الكابوك : « والكابوك أو القطن الحريري محصول ذو أهمية كبيرة وتكاد تحتكره هذه الجزيرة — ويقصد بها جاوه — ويستخرج من ثمار شجرة Ceiba pentandra . وللأوبار قيمة اقتصادية مهمة فهي تستعمل في حشو المراتب ومناطق النجاة (Life balts) ويستعمل الكابوك أيضاً كحاجز (Insulater) ذي قيمة عظيمة وخصوصاً في ملابس الطيارين ولعزل الصوت وللترشيح وكفتيل في الجروح إلى غير ذلك » هذا ما قاله الأستاذ ابراهيم عثمان عن الكابوك وعن الأوبار وأهميتها في أندونيسيا في ذلك الكتاب السالف الذكر

وهنا أقول : إن الأراضي الأندونيسية من الأراضي التي تنجح في زراعة الجوت تلك المادة الليفية الصفراء التي لها أهمية كبيرة في عالم الاقتصاديات سواء في السلم أو في الحرب ، كذلك استطاعت هذه الأراضي الأندونيسية أن تنجح في زراعة السيسال Sisal وفي زراعة القنب . وفي نهاية القرن التاسع عشر أدخلت زراعة المطاط

في اندونيسيا ولاقت نجاحاً باهراً وأنتجت محصولاً وافراً قدر بنحو سبعين في المائة من المحصول المطاطي العالمي، ويبلغ انتاجه حوالي ستمائة ألف طن في العام الواحد.

والمطاط ما هو إلاّ عصارة للاشجار والنباتات التي تزرع في المناطق الاستوائية والمدارية والمعتدلة أيضاً، بيد أن نباتات المناطق الحارة تفوق الأخريات في جودة المحصول المطاطي، ولعل عصارة أشجار الهيفا Hevea هي أجود أنواع المطاط، ويطلق الهنود الذين يقطنون أمريكا على هذه العصارة اسم (دموع الشجر Cahuchu) كما أن اندونيسيا تزرع أنواعاً كثيرة من الصمغ كصمغ جاوه وغيره، واستطاع الأندونيسيون أن ينجحوا في زراعة المطاط واستخراجه، ومن صفاتهم المهارة وهي ما يتطلبه المطاط في زراعته.

والشركات الأجنبية تعمل عملها في محصول المطاط حتى زاد الانتاج وقلت أسعاره في الأسواق وخشيت بريطانيا وهولندا، فقدم مشروع تحديدي لتطبيقه في الأراضي الأندونيسية وهو خاص بتحديد زراعة المطاط لضمان ارتفاع أسعاره وما يترتب على ارتفاع السعر من حفظ للتوازن المالي. وليس أدل على ذلك من المشروع المسمى Stevenson Scheme أي مشروع ستيفنسون الذي توسلت به الشركات الهولندية والانكليزية لتحديد زراعة المطاط، ووزعت طبقاً لذلك بطاقات رسمية كبطاقات التموين التي استعملتها الدول بعد الحرب الكونية الثانية. وقد حاولت بريطانيا ايجاد اتفاق دولي يضمن اطراد زيادة صندوقها الرأسمالي، وقد تم لها ما أرادت في شهر مايو عام ١٩٤٣ حين وقعت الحكومات التابعة لبريطانيا وهي بورما وشبه جزيرة الملايو وشمال بورنيو وسيلان كما وقعت الحكومة الهولندية في جزر الهند الشرقية وحكومة سيام والهند والهند الصينية من الحكومة الفرنسية على الاتفاق الدولي التحديدي للمطاط والتنظيمي لتصديره. ويوجد أيضاً في الأراضي الأندونيسية أشجار تسمى (لوز جاوه Canarium Commune) وهذه لها لب يأكله السكان كما أنها تنتشر كثيراً في المناطق الاستوائية.

وهناك نوع يضرب رقماً ملموساً في الغرابة، ذلك هو نبات الرفلسيا Raffiesia وهو نبات طفيلي منتشر إلى جوار نباتات طفيلية كثيرة أخرى.

ولقد آن أن تستخدم الآلات الحديثة في الزراعة على نطاق واسع، وأن يجدّ العلماء الزراعيون كل الجد في الحصول على الوسائل الجديدة المفيدة وأن نوفر صنوف العناية

بالفلاح وبالانتاج ليرتفع المستوى الاقتصادي في هذا البلد الشرقي الكبير .

ويجدر أن يلتفت الزراعيون بعين التمعن والاقتباس إلى أمريكا من الناحية الزراعية ، ومما تجدر الاشارة إليه أن كل بلد في هـذا العالم يستطيع أن يتمعن ويستطيع أن يحقق ويطبق كل جديد مع مسايرة البيئة وملاحظة التدبر وانتهاج التدبير . على أن مهمة الفلاح لا تقتصر على الزرع والمزروعات فحسب ، بل يجدر أن يهتم الفلاح بالماشية كل الاهتمام حتى تعود عليه ألبانها ونتاجها بكل خير عميم ، كما يجدر أن يتوجه شطر الطيور وبيضها والفواكه وصناعاتها ، على أن هنالك من الطرق الحديثة ما يكفل لكل فلاح معاصر أن يحيا الحياة المرجوة بين أحضان السعادة والانتعاش الذهني والحيوي .

ومن أهم الأمور والملاحظات التي نلمسها في الزراعة الأندونيسية والتي ندعو إليها لتعمل بها هذه الزراعة ذلك التعاون . وهـذا التعاون أمر هام كل الأهمية ، في الزراعة ، فلينتبه إليه الأندونيسيون وليوجهوا إصلاحهم الزراعي وجهته حتى يكون عنصراً فعالاً في رقي هـذا الاصلاح . ولزراعة الأرز مثلاً أثر كبير في الشعب الذي يزرعها ، كأندونيسيا ، فهذه الزراعة تتطلب التعاون ومتابعـة الأرض بالجد والاجتهاد والمثابرة والنظام أيضاً .

وبذلك يرى القارىء المهتم من الفصول التي قدمتها عن الزراعة في اندونيسيا أن هذا البلد مهتم في زراعته ، وراق أيضاً ، وأمامه مستقبل في الاقتصاديات كلما تقدم الزمن ، وإنه ليحق للانسان أن يعجب حين يدرك أن أغلب المزروعات باختلاف أنواعها موجودة ي الأراضي الأندونيسية بانتاج وافر وأهمية بالغة ، مما يدعوا الى اقتران الذهن بأمل كبير في حاضر الزراعة في أندونيسيا وفي مستقبلها أيضاً . فنحن نجد الفواكه بأنواعها كثيراً من الحبوب وكثيراً من المزروعات التي تستغل في الصناعة ، كما نجد الألياف المطاط ، هذا علاوة على بعض نباتات طفيلية وغير طفيلية تنبت في أرض اندونيسيا من ير زراعة . ولو تطلعنا الى الأشجار في أندونيسيا لوجدناها كثيرة متنوعة ، وهذا لأستاذ ابراهيم عثمان يقول في كتابه (رحلة الى جاوه وسنغافورة وسيلان) إن : (جاوه نية بثروتها النباتية وينمو بقرب سواحلها الممطرة أشجار يطلق عليها اسم المونجروف Mongrov ومن أهم أشجارها البروجيرا Bruguièra وهي تنمو في المنطقة التي تغطى بماء حر وقت المد وتنحسر عنها المياه وقت الجزر ، ويلي ذلك مجموعة أخرى من النباتات حى البسكاريا Pescaprea نسبة الى نبات الايبوميا بسكاريا Ipomœa Pescaprea وهو ر هذه المجموعة .

الحياة الأدبية

في عدن

للاستاذ علي محمد لقمان

قليل هم الذين يعرفون شيئاً عن سكان جنوب الجزيرة العربية، فقد ظلت نواحي الجنوب في عزلة موحشة زماناً طويلاً، ولم تقم فيها صحافة تصلهم بإخوانهم العرب في شمال الجزيرة، ولم يخرج سوى عدد قليل من الجنوب الى البلاد الأخرى، وندر من فارق بلاده لغير شأن تجاري بحت. بيد أن هذه العزلة أخذت تزول، وطفق أهل الجنوب يشعرون بضرورة الاتصال بالخارج، والتمشي مع الروح الجديدة، وزاد الحاح هذا الشعور بما أسفرت عنه الحرب من مشروعات عربية استقبلها عرب الجنوب بالغبطة والترحيب.

لقد امتازت كل من اليمن وحضرموت بعلماء كبار في علوم الفقه والتشريع، وامتازتا أيضاً بلغويين فطاحل وشعراء ملهمين. ولكن عدم وجود المطبعة في تلك النواحي غمر ثمرات قرائح هؤلاء الرجال.

وكانت عدن ولا تزال مركز اتصال جنوب الجزيرة بالعالم الخارجي، فهي ملتقى السفن بين الشرق والغرب، وهي المركز التجاري الكبير، وهي فوق ذلك «جبل طارق الشرق» بلغة الحرب. وبطبيعة البلاد الصحراوية وطبيعة مركزها التجاري والحربي، انصرف أهلها عن كل شيء غير العمل ولم تتألق فيها حياة أدبية في الأزمان الحديثة، بينما كانت الحياة دائماً في حضرموت واليمن أنشط منها في عدن، فقد ألف الناس فيها المجالس والاسمار لبحث المسائل الأدبية والمساجلات الشعرية وتبادل الطرائف الفقهية.

وبانتهاء الحرب العالمية الأولى بدأ الناس في سائر بقاع العالم يطالبون بحقوقهم، واتصل بعض العدنيين المخلصين بزعماء القضية العربية فكان هذا الاتصال مستهل الحياة التي نراها في عدن اليوم، فقد تم بفضله تأسيس أندية أدبية واصلاحية كان لها أثر بعيد في توجيه الرأي العام وتعريف الأمة بأحوال البلاد الأخرى، وقد ساهم في هذا التوجيه وصول الصحف المصرية باستمرار، وأخذ بعض الرجال يشعرون بالحاجة الملحة لتأسيس صحيفة في عدن تعبر عن رغبات الأمة وآمالها وشكاياتها. وكما أثرت الحرب في بقاع

الأرض كان أثرها في عدن عظيماً أيضاً، فقد كشفت للناس عن مدى تأخرهم في القافلة العالمية، فأدركوا أن الحيـاة الصحيحة غير ما كانوا يعتقدون. وفي عام ١٩٣٨ اجتمع لفيف من شباب عدن وقرروا تأسيس ناد أدبي بإسم « مخيم أبي الطيب ». وفي عام ١٩٣٩ صدر الأذن باصدار أول جريدة عربية عدنيـة باسم « فتاة الجزيرة » يحررها الأستاذ لقمان المحامي — رئيس مخيم إبي الطيب.

وقد امتاز مخيم أبي الطيب بنخبة من الشباب، ويندر أن تجد بين أعضائه من هو فوق الخـامسة والثلاثين. وامتاز عن سائر الأندية في عدن بأن على كل عضو فيه أن يحاضر ولو مرة في كل ستة شهور، والمحاضرات الأسبوعية حتمية، وقد وضع هـذا النادي أغراضاً ثقافية أدبية أهمها ايقاظ الرأي العام. وتبصيره بالأمور العامة، وقد زاد من قيمته انه يضم أبناء أكرم الأسر العدنيـة وكلهم مؤمنون انهم بهـذا النادي يقدمون لبلادهم أسمى الخدمات.

وعلى أثر ذلك اجتمع لفيف من شباب مدينـة « التواهي » — وهي ميناء عدن — وأقاموا « حلقة شوقي » على طراز « مخيم أبي الطيب » وقام بعض أدباء اليمانيين فأسسوا « كرمة أبي العلاء » وتجنبت هذه الجمعيات الثلاث شؤون السياسة وقصرت جهودها على الثقافة والأدب، وعدن في هـذا الطور من حياتها أحوج الى التعليم والتثقيف منها الى أي شيء آخر.

ومن الواضح أن مثل هذه الحركات تلاقي ما تلاقي من الاضطهاد فهناك المدرسة القديمـة التي يؤذيها كل جديد وهناك أوضاع وتقاليد يتشبث بها بعض الجهلاء فيحاربون من يدعو إلى الخلاص منها. ولـكن المخيم والحلقة رغم قلة أعضائهما تضافراً على البقاء تجاه الأعاصير. وقد اتضح بعد عراك عنيف انهما ناديان نافعان فأقبل الشباب عليهما اقبالاً يبعث على الارتياح وتمكن المخيم من اصدار الجزء الأول من سلسلته « اقلام المخيم »، وأعضاؤه يشتغلون في اصدار الجزء الثاني، ويتناول الأعضاء مشكلاتنا الاجتماعية والأدبية بروح البحث والاصلاح وقد أصبح المخيم ملتقى كثيرين من أبناء اليمن وحضرموت، والمأمول أن يزيد اتصال الادباء في عدن بأدباء القطرين حضرموت واليمن لينهض الجنوب نهضة واحدة

ورأى أعضاء المخيم أن أغراض ناديهم تتطلب مشروعات انفع مما كانت عليه فأقاموا جمعية لمساعدة أبناء الفقراء من طلبة المدارس وجمعوا لها تبرعات المحسنين فحالوا بعملهم هذا دون خروج كثير من الفقراء من المدارس. ولم يكتفوا بتزويد الطلبة بالـكتب والنفقات المدرسية بل زادوا احسانهم فخصصوا للطلبة الفقراء ملابس وأحذية وبعض النفقات الأخرى.

وفي نفس الوقت انشأ أعضاء المخيم لجنة خاصة لترجمة والنشر، ولـكنها حصرت

جهودها في أوائل عهدها بترجمة القطع الفنية الرائعة ونشرها في جريدة « فتاة الجزيرة » نظراً لغلاء الورق في الوقت الحاضر، لا سيما أن الأعضاء يوزعون ثمرات قرائحهم مجاناً . .

وقد أصدر رئيس المخيم أول سلسلة كتبه الصغيرة عن « أرض الظاهر » احدى المحميات التسع في جنوب الجزيرة ، كما أصدر أحد أعضائه أول سلسلته « خواطر عن المجتمع المدني » وأصدر عضو آخر ديوانين من الشعر ويطبع الأستاذ محمد عبده غانم رئيس حلقة شوقي — ديوانه الأول، كما أصدرت الحلقة عدة كتب أخرى في مسائل الدين والمذاهب . وفي عدن عدد من الشعراء بعضهم مجيدون وبعضهم يحتاج الى ثقافة وتوجيه واتصال وثيق بالعلوم الحديثة . كما أن عضوين آخرين وفّقا في اصدار مجلة شهرية باسم « الأفكار » ولا تزال تصدر شهريًّا . .

ولهؤلاء الشباب سمر اسبوعي « سمر الفتاة » في دار محرر فتاة الجزيرة أو دار الأديب عمر احسان الله يجتمع فيه الأدباء ، ولكل واحد الحق في حضوره مهما يكن لونه، ويتبادلون فيه الآراء ويتساجلون ويتباحثون الى ما بعد منتصف الليل .

والمعهد البريطاني ناد نشيط ففيه مكتبة ثمينة وفيه وسائل للألعاب الداخلية وينتظر أن يبني المعهد حوضاً للسباحة ، وفي المعهد البريطاني تلقى محاضرات تثقيفية . وقد اجتمع في الصيف الماضي عدد من الشباب العاملين وقرروا انشاء « مجلس عدن الثقافي » لاصدار كتب شهرية لتجيب يعالجون فيها مشكلات المدنيين ويوجهون الرأي العام الى ما يرونه صالحاً في عصر الذرة ولا يزال المجلس في انتظار عودة بعض اخوانهم من مصر ، وهبوط أسعار الورق — وهي في عدن أغلى منها في مصر — ليبدأ المجلس أعماله باستمرار ، ومن المنتظر أن يؤسس هؤلاء الشباب شركة تجارية سوف تكون الشركة التجارية المدنية الأولى من نوعها فى الجنوب العربي .

وفي عدن اقبال شديد على التعلم . وقد خرج عدد كبير من عدن للتعلم في مصر و بيروت والسودان ، وأغلبهم في مصر يتعلمون على نفقة الحكومة المصرية الكريمة وقد اضطرت ادارة المعارف أن تحسن برامجها تجاه هذه الحركة المحمودة فأسست صفًّا لتعليم « السينير كامبردج » School Certificat وهو يعادل التوجيهية المصرية بعدأن كان الطالب يضطر أن يفارق المدرسة قبلها ويكتفي بتعليم قليل لا يخوله الالتحاق بالجامعات . كما نشطت المطابع في عدن فأصبح عدد هاست مطابع عربية بعدأن ظلت تفتقر الى مطبعة واحدة زماناً غير قصير .

هذا استعراض سريع لحركة عربية ناشئة والأمل وطيد أن يتسع نطاقها حين تبد الحياة العامة تعود الى طبيعتها وسوف يخرج جنوب الجزيرة من عزلته عزيزاً كريماً إن شاء الله.

قصة

مستر سمبسون

(زوج حائر)

— ٣ —

الترجمة : للأستاذ سليم الأسيوطي

* * *

كارين : ولكن — لم نلحظ شيئاً مطلقاً.

مستر سمبسون: لا — ليس المفروض أن تلحظا، فالطبخ مثلاً كما تريان لا افقه فيه شيئاً ، وقد أديتما لي أجل خدمة وأرجو ألاّ أكون قد ضايقتكما .

كارين: لا — أبداً ولكن يا مستر سمبسون.—

مستر سمبسون : والآن هل تتكرمان بالتفكير في الأمر ، إن مهمة اقتصاد النقود مشكلة ، يجب التدبر فيها ، فهي مصدر اضطراب لكلينا ، لقد ادخرت جنيهاً أو اثنين والآن لم أعد حدثاً صغير السن ، كما كنت وكلانا تجاوز سن الحداثة ولكن لم نبلغ من العمر ارذله والحمد لله ولم أفكر قط في فراقكما، وأعلم اننا سنكون في عيشة راضية معاً نحن الثلاثة رغم انني لا يمكنني إلاّ الزواج من واحدة فقط ، فرجائي أن تبحثا الموضوع معاً وسوف أعود ثانية في المساء .

(يختفي — تجلس كارولين وقد أثقلت الأفكار رأسها وتتجه كارين بعد الاستغراق لحظة في ذهول ، الى الباب وتنادي)

كارين: مستر سمبسون — — — ! هل تتكرم بالرجوع لحظة واحدة

مستر سمبسون : (عائداً) نعم ياسيدتي

كارين : (في حيرة شديدة) اغفرلي سؤالي — ولكن هل يضايقك أن تخبرني بمن منا كنت تفكر . . . في الزواج .

مستر سمبسون: سوف تضحكين مني الآن أي واحدة، نعم اني لا أعرف أي واحدة، وهذه

هي الحقيقة (مرحاً) اني لا أفضل أيكما على الأخرى ، تدبروا الأمر فيما بينكما فأنا لا أتجه اتجاهاً معيناً .

كاترين : في قهقهة غير مقصودة، ما هـذا يا مستر سمبسون ، وهل سمع أحد في الدنيا بمثل ما تقول (تجلس)

مستر سمبسون: يقهقه في هدوء هـذا حق، اضحكي ما شاء لك الضحك ولتضحك أختك أيضاً (ينظر خلسة الى كارولين التي تضحك في عصبية)، والآن وقد استراحت ضمائركما فيمكنني الدخول دون أن يكون هناك عار أو فضيحة (يقفل الباب ويأخذ مقعداً ويبسط ذراعيه فوق ركبتيه ويرمق الأختين بنظراته وقد انبسطت أسارير وجهه) نعم اني قطة ألقت بها الأقدار وسط نيران مشتعلة ولا تدري أي طريق تسلك ، لقد قتلت الموضوع بحثاً وقلبته على مختلف وجوهه ، ولم أتمكن من الوصول إلى نتيجة حاسمة اني أنظر إليكما معاً دائماً كما تريان، لا يمكنني أن أفاضل بينكما .

كاترين (في تأكيد) ليس في طوقنا هذا

مستر سمبسون: ينظر إلى كارولين في تساؤل، وأنت يا كارولين ألا يمكنك هذا الآن .

كارولين: (تهز رأسها) لايليق هذا .

مستر سمبسون : (في عزم) حسناً أنت تعرفين خيراً مني . . . . فقط لا يمكنني أن أحكم حكماً صائباً . . أحم (عيناه صوب الأرض يفكر في مشكلة ، الأختان في صمت رهيب وهو يتجه بنظراته إليهما ثم يرفع رأسه وينظر قبالة كارولين) .

كارولين : (في عجلة متحاشية إن تلتقي عيناها بعينيه) إن كاترين خير من يسوس الأمور، ينظر مستر سمبسون في رجاء وتضرع الى كاترين) .

كاترين : (في عجلة) ان كارولين طاهية بارعة

مستر سمبسون: (يدق بابهامه على ركبتيه) هـذا بيت القصيد هذا هو القول لو اندمجت إحداكما في الأخرى لكان لنا طرفة فنية بارعة نادرة، فالرجل لا يطمح في زوج له ما فيكما من مزايا وصفات . هـذا هو المنطق المقبول والذي لا أجد لنفسي منه مخرجاً وعلى الأخص في بلد لاتبيح شرائعها تعدد الزوجات (كارولين تفكر) آه إن هؤلاء الأتراك لهم الحق في زوجة أو اثنتين ، أليس كذلك .

كاترين : (تحس بصدمة عنيفة) اني لأعجب منك يا مستر سمبسون

مستر سمبسون : هذا أمر لا يجوز التفكير فيه واني أعرف ذلك ولكن لا أجد لنفسي خلاصاً من التفكير فيه (تلمع فكرة نيرة في خياله) لنأخذ بنساً ونديره ونقذف به في الهواء ونحكم بالوجهة التي يقع عليها

كاترين : (في صدمة أعنف من سابقتها) لا يحدث هذا في مثل منزلنا

مستر سمبسون : ألا ترين أننا مسوقون الى ذلك انها وسيلة مثل القاء القرعة وهي ملاحظة بريئة نزيهة وردت في نص الكتاب المقدس ولقد كانت هي الوسيلة التقليدية التي اتبعها البطاركة وهذا ما أفهم، والفارق الوحيد انهم كانوا يستعملون الشاقل⁽¹⁾ بدلاً من البنس على ما أعلم ، والشاقل ونصف البنس سواء

كاترين : (في شك) إنها ليست ذائعة منتشرة مثل القاء القرعة ، ولا يمكنني أن أتصور ان سيدنا ابراهيم أو سيدنا اسحاق قد فعلاها ، ولكن اذا كنت واثقاً انها في نص الكتاب ...

مستر سمبسون : إنها عقيدة كتابية لا غبار عليها وهذا ما أقوله عنها (الى كارولين) أليس كذلك يا سيدتي

كارولين : (في حياء وخفر) انى أذكر آية من أمثال سليمان تقول « إن القرعة تبطل الخصام »

مستر سمبسون : (ظافراً) والآن دعونا ننظر في الأمر ، « القرعة تبطل الخصام » تحل قضيتنا دون وسيط ، وفي سفر الأمثال أيضاً ، إن سليمان الحكيم المجرب حكمنا كيف فصل في النزاع الذي قام على طفل تنازعت بنوته امرأتان في وقت واحد. كان هناك سيدتان في ذلك الوقت . حسناً والآن (ينظر في تساؤل الى كارولين التي تهز رأسها في شك ولكنها لا تعترض اعتراضات أخرى فيتحسس مستر سمبسون جيوبه ويخرج بدرة نقود يختار احداها ويرفعها في يده) والآن إذا ما جاءت صورة الملك العجوز فهي كاترين التي سأختارها، وإذا كانت السيدة الشابة الممسكة بالمزراق فكارولين هي فتاتي ، وها أنذا اقذف بقطعة النقود في الهواء (يدير قطعة النقود ويقذف بها لكنه يتعثر إذا ما حاول القبض عليها وتسقط منه في أحد اركان الحجرة فيركع ثم يحبو على يديه وقدميه عندما يحاول

---

(١) الشاقل عملة عبرانية الذهبية منها تساوي جنيهاً والفضية ١٢ قرشاً

استردادها بينما تجلس الاختان في رباطة جأش محاولتين الاحتفاظ بهدوئهما ، الويل لي لقد هلكت (يهم واقفاً على قدميه ممسكاً بنصف البنس في يديه) لو كانت أرض الحجرة مصنوعة من البلاط لقضي عليّ ولكن الحمد لله .

كارين : (في ضعف وتراخ) ما الذي أصابك

مستر سمبسون : لقد سقطت قطعة النقود في حفرة في ارض الحجرة يا عزيزتي ومرتكزة حافتها على الأرض ومتجهة الى أعلى ، ولا طرة تبدو لها ولا الماظ ، وسليمان الحكيم نفسه لم يكن في مقدوره أن يحسم النزاع على هذا الوضع ، ولكن ماذا أفعل وقد حباكما الله أرضاً من خشب في غرفة المطبخ بينما حجرتي أرضها من حجر الجير

كارولين : لقد كان هذا ترتيب ابي هكذا بنيت المنازل لقد أحب دائماً أن يخلع حذاءه في كل مساء والجص بارد يسبب تشقق البشرة خلال الجوارب

مستر سمبسون : (يجلس) دعنا ننتظر كيف تتطور الأمور

كارولين : (جادة) انه حكم السموات

كارين : (جادة أيضاً) كن واثقاً انها قطعة نقود لا أكثر ولا أقل ، ان عيني أبينا علينا الآن ، ولا غرابة في ذلك اني لا أشك في أن ما فعلنا كان حماقة منا والأجدى بنا ألا نخوض في الموضوع الى أبعد مما ذهبنا

مستر سمبسون : لا أرى هذا الرأي إذا كان أبوكما لم يختر لبس الكوت فليس هذا سبباً شرعيًّا يحول دوني والزواج إذا أردت، وكل ما هنالك انه يجب تجربة طريقة أخرى

كارولين : (في خوف) لو أمكن أن ننتظر قليلاً ويتركنا مستر سمبسون لحظة من الزمن فربما تكلم قلبه

مستر سمبسون : (في شك) يخطىء القلب مرة ويصيب أخرى ذلك العضو الذي خلق مع الانسان لحيرته كما اعتقد

كارين : إن الخيبة تزيد القلب صبابة وولوعاً كما يقولون.

[للقصة بقية]

التقويم الزراعي

لشهر اكتوبر ١٩٥١

---

(١) — ﴿ الحاصلات الزراعية ﴾ : —

البرسيم — تستمر زراعته
الفول — تعد أرضه ويزرع خلال هذا الشهر
الكتان — تستمر الخدمة من حرث وتزحيف وتكسير للقلاقيل والتحويض ، وتبدأ الزراعة المبكرة
القمح والشعير — تبدأ خدمة الأرض وزراعة القمح المبكر
القطن — ينتهي الجني ثم تقلع الأحطاب
القصب — يروى ويقطع منه ما يلزم للاستهلاك المحلي
السمسم : يبدأ ضم الزراعات المبكرة للعروات النيلية
الارز — يستمر في الحصاد
الذرة الرفيعة — يستمر في ري العروات النيلية
الذرة الشامية — يوالي ريها ويبدأ قطع العروات المبكرة
الفول السوداني — يضم المحصول المتأخر
الحلبة والعدس والترمس — تبدأ الزراعة
البصل والثوم — تغرس الشتلات المبكرة

(٢) — ﴿ البساتين ﴾ :

(١) — الفاكهة — تتشبع معظم الأراضي الزراعية بمياه الفيضان ، ويعتدل الجو وتقل حاجتها الى الري الكثير ، ويكفي أن تروى أشجار الحلويات كل عشرين يوماً والأشجار الحمضية كل مدة تتراوح بين ١٢ و ٢٠ يوماً حسب نوع التربة ، أما الموز فيروى كل عشرة أيام تقريباً لمساعدة السباطات على النضج ولبلوغ أصابعها الحجم المناسب. يعمل على ازالة الفروع الجافة في جميع الأشجار . يستمر في تطعيم أصول الموالح والنارنج والليمون البلدي بأصناف الأشجار

الحمضية ، وتطعيم أصول البرقوق المريانا بأصناف البرقوق المختلفة ، وأصول البيرس كالريانا بأصناف الكمثرى . أما المانجو فيقف تطعيمها لبرودة الجو . ويمكن الاستمرار في نقل فسائل النخيل وسرطانات الزيتون من جوار أمهاتها الى خطوط المشتل — يبدأ في زراعة بزور الخوخ والمشمش على خطوط المشتل بالجهة القبلية — يستمر في جمع أصناف العنب المتأخرة والقشطة والجوافة والكاكي والرمان والبلح الأمهات والزغلول والسماني والسيوي ، ويبدأ في جمع ثمار البرتقال البذرة بأعالي الصعيد .

(ب) الخضر تزرع عروة ثانية من الفاصوليا — يستمر في زراعة البطاطس في أوائل هذا الشهر — يزرع السلق والسبانخ والجزر والبنجر والفول الرومي والبسلة واللفت والفجل والجرجير والمقدونس والخبازى — يزرع الخيار والفاصوليا والكوسا بالوجه القبلي — يشتل الخس اللانوجه والهندباء والكرنب الأفرنجي والقنبيط المتأخر . تزرع بالمشتل بزور الخس والهندباء والفنوكيا والكرنب الأفرنجي وأبو ركبه . يقل وارد الطماطم والبامية فيرتفع السعر — ترد بشائر القلقاس والطرطوفة والبسلة — يقل الموجود من البطاطس .

(ح) الأزهار : تكون أحواض الزهور مزروعة بالحوليات الشتوية — يستمر في زراعة أبصال الياسنت والتوليب والفريزيا والأنيمون والرانتكوس — يمتنع الري عن الداليا تدريجيا استعداداً لخزنها — تزرع بذور الجازون .

«الحشرات» : تشاهد الحشرات الآتية على الحاصلات المدرجة فيما يلي : الذرة الشامية : دودة ورق القطن ، والثاقبات . القصب . الثاقبات . أشجار الموالح والمانجو والزيتون والعنب ونباتات الزينة : أنواع من الحشرات القشرية والبق الدقيقي وذبابة الفاكهة وذبابة الزيتون وتربس العنب . أشجار الحلويات : حفار ساق التفاح والحشرات القشرية . البطاطس (الشتوي) : الحفار الخضر : دودة ورق القطن والحفار .

**

باب الأخبار العلمية

قلب صناعى أثناء الجراحة (١)

عقد في أحد المدرجات الكبيرة في ٢٧ سبتمبر الماضي بالسوربون بباريس المؤتمر الدولي لجمعية الجراحين . وقد تلي فيه البحث الذي كتبه الدكتور توماس برايس الطبيب المشهور الذي أجرى عملية الاستئصال الجزئي لرئة الملك جورج السادس .

وقبل أن يلقي الدكتور بروك الطبيب الانجليزي بحث الدكتور توماس برايس قدمه البروفسور لوريسن رئيس المؤتمر وهنأ الجراح الانجليزي الكبير على العملية الناجحة التي أجراها لملك بريطانيا .

استعمال الطرق القديمة في الجراحة

وألقى البروفسور دوراته من جراحي مدريد بحثا عن التجارب التي قام بها بشأن الاستئصال الجزئي للرئة عند اصابتها بالسل ، وقال : إن الطريقة التي قام بها في استئصال الأجزاء المريضة من الرئة انما تستند الى بعض الطرق التي سار عليها القدماء وهجرها العلم الحديث . وذكر أن الفارق بين الحالين هو أننا في العصر الحديث نعتمد على الأجهزة الحديثة والمستحضرات الطبية التي لم تكن معروفة في ذلك الوقت .

انقاذ القلب الانسانى

ثم ألقى الدكتور دوليوتي أستاذ الجراحة بجامعة فورينو بحثاً عن التجارب التي قام بها ونجحت لأول مرة في التاريخ والتي تعين على انقاذ « قلب » الانسان .

وذكر البروفسور دوليوتي انه بدأ تجاربه في ٩ أغسطس الماضي في تورينو على رجل في الخمسين من عمره أصيب بتورم في الجانب الأيمن من القلب وأصبح يهدده بالموت .

ولما فتح دوليوتي الجانب الأيمن من الصدر وجد القلب عاجزاً عن امداد الجسم بالأوكسجين الضروري للحياة .

الاستعانة بقلب صناعي

ولكي يساعد القلب على القيام بمهمته استعان دوليوتي بقلب صناعي لمدة عشرين دقيقة واستأصل الورم وأعاد الدم الى مجراه الطبيعي في العروق .

---

(١) راجع أعداد مقتطف يناير وفبراير ويونيو سنة ١٩٥١

وعاش المريض بعد ذلك حياته العادية .

وذكر الدكتور دوليوتي لأعضاء المؤتمر انه استعان بالقلب الصناعي بصفة مؤقتة . وبذلك يكون الجراح الايطالي ، قد نجح لأول مرة في التاريخ في الاستغناء تماماً عن القلب الطبيعي في عمليته الجراحية .

ولقد كان لهذا البحث الذي ألقاه الدكتور دوليوتي أثره الهائل في الدوائر الطبية والعلمية التي أصبحت الآن على عتبة المحاولات الناجحة للقيام بهذه التجارب التاريخية .

قلب ورئة صناعيين

وتحدث الدكتور يونجبليد الجراح الهولندي عن أحدث تجاربه التي قام بها على الكلاب . وذكر أنه نزع قلب ورئتي كلب في سنة ١٩٥٠ واستبدل بها جميعاً قلباً ورئتين صناعيتين لمدة ساعتين . وظل الحيوان خلالهما حيًّا يتحرك .

وقال يونجبليد أن تجاربه على الكلاب تجعله يميل الى الاعتقاد بأن تجارب مماثلة على الانسان ستكلل بالنجاح ، وذلك بالاستعانة بالجهاز الذي ابتكره .

مم يتكون القلب الصناعي ؟

وعرض العالم الهولندى على المؤتمر جهازاً ضخماً للقلب والرئة مؤلفاً من :

أولاً : مجموعتين من الانابيب كل تمثل كل منهما نصفي القلب الأيمن والأيسر .

ثانياً — ست أنابيب حلزونية ملأى بالأوكسيجين تمثل الرئة .

ثالثاً : خزان ينظم سير الهواء فلا تمتصه الشعيرات .

رابعاً : سخان يجعل الدم في الحرارة العادية للانسان .

ولاستخدام هذا الجهاز يجري الدم من المريض وذلك خلال الأوردة الجوفاء وهي القريبة الى القلب ، ويتلقى الدم الأوكسيجين من الرئة الصناعية وهي عبارة عن أنابيب حلزونية دوارة وينطلق منها الى الخزان وذلك بوساطة شعيرات كابسة ضاغطة تدفع الدم بمعدل مائة مرة في الدقيقة أي ضعف الاندفاعات العادية .

وبعد ذلك يعود الدم الى المريض عن طريق شعيرات دقيقة أخرى .

لا حاجة الى نزع القلب

واستمع المؤتمر الى بحث الدكتور جون جيبسون من كلية جيفرسون بفيلادلفيا عن قلب صغير ولكنه شبيه بالقلب الذي تحدث عنه الجراح الهولندي . وقال إن تجاربه وتجارب زميله الهولندي ستمهد السبيل للتجارب على قلب الانسان .

وقال الدكتور جيبسون الجراح الأمريكي إن هنالك طريقة للتبريد أو للتجميد يستعان بها في العمليات الخاصة بالقلب دون نزع القلب من صدر الحيوان أو الانسان .

* *

مكتبة المقتطف

اليوبيل الذهبي

لمجلة العرفان بصيدا

العرفان صحيفة من كبريات الصحف الأدبية في الشرق العربي ، ظلت تكافح في سبيل الأدب والعلم والتاريخ والاجتماع والوطنية والعروبة نصف قرن من الزمان ، كما أدت دار العرفان خدمات جليلة في سبيل نشر المعارف

وصاحبها زميلنا الكريم الشيخ أحمد عارف الزين من أعلام الأدباء المتمكنين الذين عكفوا على احتضان اللغة العربية وآدابها ، والنهوض بها من الكبوة ، وتشجيع أدبائها وعلمائها ، وظل يواصل جهوده في سبيل العربية هذه الحقبة الطويلة من الزمان ، حتى أثمرت جهوده خيراً وبركة للأدب العربي ، وربطت بين أبناء الضاد في مختلف بلاد العالم .

من أجل ذلك سرّنا أن يقوم فريق ممن نشأتهم العرفان بالاحتفال باليوبيل الذهبي لها ، وقد وضعوا لهذا الاحتفال برنامجاً ضخماً نرجو له النجاح والتوفيق . إذ يبدأ بمهرجان حافل يقام في مدينة صيدا في أوائل أكتوبر الحالي

ثم تتتابع المهرجانات في مختلف عواصم العالم العربي والمهاجر ، بمؤازرة أبناء العروبة المهاجرين الأمجاد ، لتكريم العالم الجليل الشيخ عارف الزين وصحيفته .

والمقتطف الذي يسعده كل ما ينال الصحافة الأدبية في العالم العربي من خير ، ويعتبر كل انتصار وانتشار وكسب لها ، إنما يصيبه منه كل خير وبركة وسعادة — يغتبط لهذه النهضة الفتية ، ويزجي للزميلة الكريمة « مجلة العرفان » خالص تقديره وبالغ سروره .

ويرفع باسم هيئة تحريره أطيب تهانيه وتمنياته ، راجياً للعرفان من الذيوع والانتشار والتقدير ما هو جدير بماضيها المشرف ، وحاضرها المشرق ، ولصاحبها الجليل كل الأماني الطيبة ، سائلاً له طول العمر والقدرة على مواصلة الكفاح ، حتى يشهد يوبيلها الماسي أقوى ما يكون وتكون صحيفته المجيدة .

* *

المشاعل

بقلم اثنين — ٢٤٨ صحيفة من قطع المقتطف — طبع مطبعة كوستا تسوماس بالقاهرة

هذان الاثنان هما الأب بولس مسعد والأستاذ نسيب وهيبة الخازن .

وقصة هذا الكتاب يبدؤها الأستاذ نسيب الخازن فيقول : —

« كنت أتردد الى كلية الحقوق القريبة من مصر القديمة ، وكثيراً ما شاهدت معبداً مهجوراً . وفي يوم دخلت المعبد .. وفي سنة ١٩٤٨ سألني صديقي الراهب بولس مسعد: الى متى تسكت ؟ . وقلت فما أنشر ؟ .. قال انشر رسالتك ، فأنت متصوف كالرهبان ومعلم كمشايخ الصوفية . . . ودفع اليّ قصة تسلسلت وقائعها في سجلات أسلافه الرهبان ورأيتني أكتب . وأخذت أقدم للقارىء صوراً من ذاك الموطن الساحر » .

ومن هنا تبدأ قصة يتداول فصولها المؤلفان ، فيعرضان حقبة من التاريخ الشعبي لهذه السلسلة التي تطوق الزاوية الشرقية الجنوبية للبحر المتوسط (مصر ـ لبنان) .. التاريخ الذي تمتزج فيه القومية بالدين ، وتتغلب فيه الاخوة العربية على كل الفوارق الطائفية .

وتتسلسل فصول هذه القصة الشيقة في أسلوب عذب بديع رقيق ، تطرح فيه مفردات الحقيقة على بساط الخيال ، ويزينه جرس متوافق منسجم ، وتشيع في جوانبه روح يقظة توجه التاريخ في مجرى الانسانية العالية ، وترتفع بالفكرة الدينية الى آفاق سامية تذوب عندها نزعة التعصب والأنانية ، ويتعاون فيها المسجد والكنيسة على النزوع بالنفس الانسانية نحو الكمال ، وتربية الروح تربية الهية حكيمة لا عوج فيها ولا التواء .

ولا نجد في التعريف بالكتاب أبلغ من الاهداء الذي يقول فيه المؤلفان : —

في الخيال وقائع أغرب من الخيال ، وفي الانسانية شخصيات مثالية تعجز عن خلق مثيلات لها أخيلة الكتّاب وقرائح الشعراء ، فهي بحق مشاعل للخير والحب والجمال .

وأطيب متعة للمطالع أن يعرض تلك الشخصيات ، ويتابع تلك الوقائع بين الأطلال الدارسة ، وأن يجالس التاريخ و « يستنطقه ذكريات الماضي ، ويصيخ سمعاً الى قصص ذلك الجني الساحر الذي يعيد الانقاض قصوراً والتراب أمماً ، ويبعث صخب المدائن القدامى مكان صمت الصحراء » على حد تعبير أديب من الغرب .

ونحن في هذا الكتاب تناولنا عرض شخصيات ووقائع ، وتأريخ أحلام وأطماع ومآس وجهود مضنية في سبيل أهواء عنيفة ، كما بسطنا تاريخ كد واستشهاد في سبيل الانسانية

* *

في جنة الفردوس

تأليف محمد رضوان أحمد - صفحاته ١٧٦ صفحة من القطع المتوسط - طبع بمطبعة الشمرلي بالقاهرة

مؤلف هذا الكتاب رجل عميق الايمان، وطني متطرف، جريء الرأي، واسع الاطلاع. وقد تجمعت هذه الخلال لتكون كتاباً، فكانت هذا السفر، لقد تتبع منابع النور منذ انبثقت في العالم، تحمل الفكرة الاسلامية، وسار في ركبها، يتغنى بأمجادها، ويأسى لكبواتها، حتى أشرف على عصرنا الحاضر، وعندئذ بلغ منه اليأس فأسند رأسه، وهدهد قلبه . . وأغفا، ولكن فكرة الاصلاح بقيت مستيقظة، تسبح في العوالم، وتتخطى العقبات والحواجز، وتتسامى حتى استقرت في الجنة، وهناك تنفست الصعداء ونفضت غبار الهموم، حيث التقت بسبعة من زعماء الاصلاح في الشرق.

أولئك الذين تألقوا مضيئين على مسرح الشرق فترة من الزمن ثم انطفأوا، وتواروا وانفض سامرهم، فعاد الظلم، وساد الظلام.

أخذ المؤلف بما فيه من طبيعة الصحفي يستنطقهم، ويحاورهم، وينتزع منهم النقد والرأي في مختلف شؤوننا، ويصوغ هذا كله فصولاً جريئة، يعلنها حرباً على الطغيان، فحين يلتقي — وأول من يلتقي — زعيم المصلحين في الشرق: السيد جمال الدين الأفغاني، يستوضحه الرأي في الصحافة والصحفيين، وما طرأ عليها من مفاسد، وما دخل في رسالتها من زيغ وزيف وما ينبغي أن يتجه اليه رجالها لاداء رسالتها السامية، ويستطرد الى الحديث عن السلام ودعاته، ووفودنا الى الغرب، واسراف الأغنياء اللاعبين بأموال مصر وكرامتها في الخارج، ويوصي بالشعب على انه هدف الاصلاح، وعماد الوطن ولا يترك الحديث إلا بلذعة يوجهها الى الزعماء والقادة ورجال الدين.

وفي حديثه الى الامام محمد عبده يوجه همه الى التعليم النافع والدين الصحيح، والاصلاح الاجتماعي المثمر. ويتجه الى عبد الله النديم فيجده ثائراً يائساً من الاصلاح ما لم نتجه الى تعليم مثمر، يتيح لنا استقلالاً مادياً ومعنوياً، وينصرنا على الفقر، ويحصننا ضد قوى الاستعمار، ويضيق ذرعاً بالتعليم الحالي وما فيه من عيوب خلقها المسيطرون عليه بأخطائهم المكشوفة والمستورة.

وحديثه الى قاسم أمين استوعب كل مشاكلنا، وتداول كل شؤوننا فعرض حياتنا بين يدي القاضي الذي تسللت آراؤه الى كل غرفة في كل بيت من بيوت مصر، صاحب الآراء الخطيرة في حياة المرأة، الذي عبثت الأيام والأحداث والأهواء بآرائه فصرفتها عن قصدها

فعادت نكبة من حيث أرادها رحمة بالأمة وخيراً لأبنائها، وكان لا بد من حديث يتناول السفور والتعليم والاختلاط، وزواج الأجنبيات، وتعدد الزوجات، والطلاق وحقوق المرأة في الانتخاب والنيابة والقضاء، لكنه مر بالزعيم الشاب مصطفى كامل مرور النسيم في زيارة خاطفة استعاد معه ذكرياته وآراءه الثائرة التي أزعج بها الاستعمار، وحرم فيها على الأمة أن تذل أو تخنع، وحث فيها على تفدية الوطن بالأرواح والدماء.

وكان شوقه للقاء سعد بالغاً، فراح يستوحيه حديثاً عن الزعماء والمتزعمين، الذين استبد بهم طغيان المادة وصرفهم استغلال النفوذ عن شئون الأمة، وقارن ما يجري بما كان من الزعامة الحقة في صدر الاسلام وما كان لها من أثر في اسعاد الشعوب.

ولم ينس وهو الصديق الوفي أن يعرض على سعد شكاة صديقه الحميم «الدكتور أحمد زكي أبو شادي» المهاجر المغترب في سبيل الكرامة والاصلاح، إذ لم يجد في الاحياء من يستمع لشكايته أو يذكر ماضيه الناصع في الجهاد، ولا حاضره الحافل بالمآثر، ولا كفاحه الماثل في سبيل مصر وإذاعة مفاخرها الأدبية والفنية ونهضتها العلمية في المحافل الأمريكية. ولم ينس أن يعرض مختارات من عبقري شعره ومراسلاته القيمة التي يسعد بها أصدقاءه بين الحين والحين.

واستطرد وهو يحدث سعدا الى ما يهدد أخلاق الشعب من الأغاني الساقطة، والروايات الهزيلة، والمسرحيات المبتذلة، وصمت علماء الدين والمفكرين حيال هذا الخطر الداهم والمفاسد الطاغية ثم مال بالحديث الى استغلال الأغنياء للفقراء مستشهداً بالحوادث القائمة بين سمعنا وبصرنا.

وكان الحديث مع طلعت حرب اقتصادياً وطنياً لام فيه الأغنياء على تقاعدهم عن استثمار أموالهم واستغلال موارد بلادهم وتركها للشركات الأجنبية تنعم بخيراتها، وتستنزف دماء المواطنين عن طريقها، ونقد الأسلوب الضرائبي الذي يرهق الفقراء ويكدس الموظفين في المكاتب، ويتيح للأغنياء استيراد الكماليات، مع ترك الغلاء يصلي المواطنين شواظاً من نار.

والكتاب مستوعب يستقصي نواحي الحياة، ولو ذهبنا نعدد ما تناوله من النقد وتوجيهات الاصلاح لكان أولى أن نعرض الكتاب جملته وتفاصيله.

والكاتب يعالج موضوعه بأسلوب متزن، ولكنه ثائر لاذع، يعنف حتى يبلغ حد القسوة والتقريع، ولا شك أن هذه هي الطريقة التي توقظ النيام وتنبه الغافلين.

رضوان ابراهيم

الفهرست

للجزء الثالث من المجلد التاسع عشر بعد المائة

١٢٩ حديث المقتطف **

١٣٢ المحرض النفسي للأستاذ شكري شعشاعة باشا

١٣٧ فن المراجعة والتعقيب للأستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي

١٤٢ العناصر المعدنية — كلوريد البوتاسيوم للأستاذ اسبيرو جسري

١٤٦ الدراسات العربية في أمريكا للأستاذ فرحات زيادة

١٤٨ الرحيل (قصيدة) للآنسة الشاعرة نازك الملائكة

١٥٠ انهاض المجتمع — هندسة الماء في مصر للأستاذ حبيب عوض الفيومي

١٥٣ هل الثورة حق من حقوق المجتمع ؟ للأستاذ الياس يعقوب

١٥٨ الحياة السياسية في صدر الدولة العباسية للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

١٦٢ الكلب المخدوع — من كتاب كليلة ودمنة للأستاذ رضوان ابراهيم مصطفى

١٦٧ غرائب طبائع الحشرات للأستاذ أمين عبده

١٧٢ الظل المنحسر (قصيدة) للأستاذ حسن كامل الصيرفي

١٧٤ الزراعة في اندونيسيا للأستاذ أحمد طه السنوسي

١٧٧ الحياة الأدبية في عدن للأستاذ علي محمد لقمان

١٨٠ مستر سمبسون (قصة) — ٣ — للأستاذ سليم الأسيوطي

١٨٤ التقويم الزراعي لشهر اكتوبر ١٩٥١ **

١٨٦ [باب الأخبار العلمية] : قلب صناعي أثناء الجراحة -- استعمال الطرق القديمة في الجراحة . انقاذ القلب الانساني . الاستعانة بقلب صناعي . قلب ورئة صناعيين . مما يتكون القلب الصناعي ؟ لا حاجة الى نزع القلب . **

١٨٨ [مكتبة المقتطف] : اليوبيل الذهبي لمجلة العرفان بصيدا ** المشاعل ** في جنة الفردوس للأستاذ رضوان ابراهيم